72336—73864

REGD. NO. LW/MP 59

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY

AUGUST — 1995

صدر حديثاً :

نظم الأمـــانى

فى

مختصر الجرجانى

للامام أبى الحسنات محمد عبد الحى بن عبد الحليم اللكهنوى

(١٢٦٤ — ١٣٠٤ه)

و قد قام

بالتحقيق و التعليق و تخريج النصوص

سعادة الدكتور تقى الدين الندوى

أستاذ الحديث و علومه فى جامعة الامارات العربية المتحدة .

و اهتم بنشره و إخراجه :

سعادة الأستاذ محمد على دولة صاحب دار القلم ، بتعاون من

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث بدبي (دولة الامارات العربية المتحدة)

يطلب الكتاب من :

دار القلم للنشر و التوزيع : ص. ب ١١٨١٧ - دبي

(دولة الامارات العربية المتحدة)

و من المكتبات الاسلامية قلندر فور - أعظم كره (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة آزاد أوفست لكناؤ

من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الاعظمى

شعارنا الوحيد
الى الإسلام من جديد

العـــــدد السـابع — المجلد الأربعون

ربيع الثـانى ١٤١٦ه — سبتمبر ١٩٩٥م

البعث الاسلامى

ء

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها

مؤسسة الصحافة و النشر

ندوة العلماء - ص. ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٢٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد السابع

المجلد الأربعون

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

ربيع الثاني ١٤١٦هـ

سبتمبر ١٩٩٥م

عنوان المراسلات :

البعث الإسلامـــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

حضرات أخواتنا القراء !

أحييكم بتحية الاسلام و أحمد الله على هذا التوفيق الغالى الذى أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة العقيدة والفكر وفى مجال البعث الاسلامى ، بطريق مجلة « البعث الاسلامى » التى تجتاز عامها **الأربعين** ، راجياً من الله سبحانه أن يتكرم بالتأييد الدائم لنا بروح من الاستقامة والصمود ، والثبات على هذه الجبهة الدقيقة فى ظروف صعبة و أوضاع متأزمـــة تجتازها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم فى كل مكان نحو دينهم و شريعتهم ورسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارىء الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن .

و التحديات تتجدد كل يوم ، وهى تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا .

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهنـــد : مأة روبية
ثمن النسخة عشر روبيات :

★ فى العالم العربى و فى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .
و ٣٦/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم (ALBAAS-EL-ISLAMI)
بالعنوان التالى :

مكتب البعث الاسلامى ،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص . ب ٩٣
لكناؤ (الهنـــد)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWAT UL ULAMA
P. O. Box 1 No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمـــة بكل فكر ينشر فيها .

محتويات العدد

الافتتاحية :

الواقع الرهيب لعداوة الغرب وحقده على الإسلام ! — سعيد الأعظمي — ٣

التوجيه الإسلامي :

اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد ! — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ١٠

الدعوة الإسلامية :

من حق الزوجة — الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢١

الأصنام المذكورة في القرآن الكريم — الأستاذ محمد ثناء الله العمري — ٣٠

الفقه الإسلامي :

الربا فتنة في الأرض وفساد كبير — الدكتور عدنان علي رضا النحوي — ٣٣

الزكاة وأهميتها في الإسلام — الشيخ عتيق أحمد القاسمي — ٤٣

دراسات في السنة :

الحديث الضعيف وحكم العمل به — الدكتور عمر يوسف حمزة — ٥٥

دراسات و أبحاث :

مجتمع الجاحظ كما يصور أدبه — الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي — ٦٣

دور الإسلام في إقرار المساواة الإنسانية — الأستاذ محمد جنيد — ٧٠

أعلام التاريخ الإسلامي :

الشيخ محمد علي المونگيري - رحمه الله تعالى - — الأستاذ نور الحق الرحماني — ٧٩

منهجية البحث العلمي :

الجوانب الفنية التي ينبغي مراعاتها عند .. — الدكتور ظفر الإسلام خان — ٨٥

صور و أوضاع :

متى تفيق أوربا من أهوال الفتح الإسلامي — واضح رشيد الندوي — ٩١

أخبار اجتماعية وثقافية :

مؤتمر حول أهمية نظام الزكاة الجماعي في الإسلام — مندوب دار الشريعة — ٩٥

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ إشتياق أحمد — قلم التحرير — ٩٩

فضيلة الشيخ محمد الله السهارنفوري — " " — ١٠٠

حرم الأستاذ المرحوم محمد سميع الصديقي — " " — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الواقع الرهيب لعداوة الغرب وحقده على الإسلام !

تتزايد الحساسية في الغرب ضد الإسلام ، مع مرور الزمن ، حيث تتركز الجهود على إقصاء كل ما ينتمي إلى الدين الإسلامي ومقاطعته في جميع المجالات ، وتتجلى الكراهية الشديدة له في الإجراءات السريعة التي يمارسها الغرب في تأصيل جذور المتغيرات السياسية والاجتماعية التي تساعده في تأسيس نظام عالمي جديد يقوم على معاداة الإسلام وتفنيد نظامه «الجائر» الذي طوي بساطه ، و لم يعد فيه للحياة والمجتمع أي غنية ولا سند، هكذا يزعم فلاسفة الغرب ، ومن هذا المنطلق العدائي يتوجه الغرب اليوم إلى مجتمعات وبلدان المسلمين باعداداته الهائلة للقضاء عليهم نهائيًا وتصفية وجودهم على وجه الأرض ، ولعله يريد من خلال ذلك أن يشفى غليل الانتقام من المسلمين ، يوم هزموه في ساحات الحروب الصليبية ، وطردوه من العالم الإسلامي الذي كان يتخذه منطلقًا لأهوائه ومؤامراته على الإسلام وحضارته الإنسانية الشاملة .

لقد كانت أوربا تعيش وحشية وظلامًا في طوايا النسيان ويغلب عليها نوم السبات يوم جاء الإسلام ، فأفاض على الإنسانية بنوره الوهاج وشريعته الغراء ، وأتحفها بحضارته العصماء ، وكان من سعادة الغرب أنه تعلّم من المسلمين آداب الحياة ، وتلقّى منهم توجيهات في العلم والحضارة وتسنّى له الخروج من الظلمات التي كانت تخيم عليه ، منذ قرون متطاولة ، وأسدت إليه الخلافة الإسلامية منة ، ورثت لحال أوربا التائهة فبعثت إليها وفود الخلافة التي حلت بأرض الأندلس واتخذتها مركزًا للاشعاع الديني والحضاري فأرسلت منها أشعتها إلى جميع البقاع

الأوربية ، وبعثت في جسم الأمة النائمة التائهة دبيب الحياة ، وشقّت لها الطريق نحو العودة إلى حياة طبيعية ، ومن هنالك عُرفت أوربا بالتقدم في مجالات من العلم والفنون الإنسانية .

ولكن سرعان ما تناست أوربا منة الإسلام عليها ، وما علمها المسلمون من مفاهيم السعادة والقيادة ، وثارت في نفوس أهلها من العداوة والبغضاء التي ورثوها أبًا عن جد ضد الإسلام وأهله ، وقد كان آباؤهم من اليهود والنصارى ، تآمروا على رسول الإسلام -ﷺ- ، ولم يدخروا وسعًا في القضاء على الدين الذي جاء به من عند الله نورًا وكتابًا مبينًا ، ولكن الله أبي إلا أن يبقى هذا الدين ، يسود ويدوم ، ويفتح للناس أبواب الحق والسعادة ، ويبعث أمة تمثل حياة الإيمان والحب والحنان ، وتقيم في الأرض قسطاس العدل والحق ، وتتسلم زمام القيادة العالمية على جميع المستويات ، ولو أن اليهود والنصارى استسلموا للهداية ودخلوا في دين الله الأخير ، لم يحرموا قيادة العالم ، ولكنهم زعموا الإسلام دينًا جاء لاقصائهم من منصة القيادة ، وإذهاب دولتهم وشوكتهم ، وكان هذا الزعم كفيلا بأن يملأوا صدورهم بغضًا وعداوة ضد الإسلام وأهله ، ولا يدعوا أي وسيلة للإضرار والانتقام إلا ويستخدموها ويُصرّوا عليها : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ ﴿ لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ .

ورث اليهود والمشركون هذه العداوة كابرًا عن كابر ، وأضمروها في نفوسهم يتربصون الفرص السانحة للتظاهر بها ، قد شهد التاريخ بين فترة وأخرى آثار هذه العداوة والبغضاء منذ أن طلع شمس الإسلام على أفق تهامة ، وملأت أرض الله نورًا وبهاءً ، فإن هناك حوادث كثيرة تمتد على مدى الزمان ، كانت نتيجة لهذه العداوة المتأصلة في النفوس ، ولكن الذي يواجهه الإسلام والمسلمون اليوم من تحديات خالصة يوجهها المعسكر الغربي الذي يتولاه اليهود والنصارى في وقت واحد ، إلى العالم

الإسلامي ، إنما يفوق جميع ما قد سبق في التاريخ من أحداث استهدفت الإسلام وتصفية المسلمين بغاية من العنف ، وهو يقوم بهذه العملية الهدامة بطريق مباشر وأسلوب سافر ، دون أن يعتمد فيها على فلسفة أو فكر أو حكمة .

ذاك ما هو المشاهد المعلوم وما يجرى على مرأى العالم ومسمعه ، في جميع بلدان المسلمين شرقًا وغربًا وتتناقله وكالات الأنباء و وسائل الإعلام في كل مكان ، ولا أدل على المواقف العدائية والعدوانية التي يقفها الغرب بتعاون من الأمم المتحدة ومجلس الأمن التابع لها ، من ذلك القصف والنسف والتدمير الكامل الذي يعيشه المسلمون في البوسنة والهرسك ويقلده الرئيس الروسي « يلتسين » في الشيشان ، وما جاورها من الجمهوريات التي تعيش فيها أغلبية المسلمين ، ولعله يريد بذلك أن يستعيد إلى النفوس هيبة الاتحاد السوفياتي التي تذاوبت مع سقوط النظام الشيوعي في عام ١٩٩٢م ، ولكنه سوف لا ينجح في هذه المحاولة التي يصر عليها ، بإزاء تلك السياسة الأمريكية التي دخلت مراحل جديدة منذ انقراض الخطر الشيوعي ، وهي مرحلة الاحتواء التي يركز عليها الغرب ، ويعمل من ورائها على إثارة المشكلات من كل نوع ، وتغيير صورة المجتمعات البشرية والحياة الاجتماعية بدليل أن الإنسان يعيش اليوم في عالم متغير يفرض عليه أن يدور في فلكه ، ويتجاوب مع مطالبه ، ثم ينسجم مع متغيراته من غير أن يعوق طريقه شئ من التقيدات الدينية والتقاليد الخلقية ، والأعراف الاجتماعية الموروثة .

من هنا نستطيع أن نقدر نوايا السياسة الغربية في قلب موازين الحياة الاجتماعية رأسًا على عقب ، ومقاومتها القيم الإيمانية التي يتمسك بها المسلمون ويلحون عليها في جميع شئونهم الفردية والجماعية ،

ولا يرضون بالحيد عنها قيد شعرة في أي حال ، وذلك ما يسميه رواد الفكر الغربي وحملة لواء العالم المتغير اليوم بالأصولية الإسلامية تارة ، وبالتطرف الديني والإرهاب تارة أخرى ، وهم يعدون لمحاربة ذلك وسائل ذات التأثير القوى ، سواء بالعنف والإكراه ، أو بالحث والإغراء ، ومن لا يستجيب لهم فليستعد لمواجهة أسوأ مصير ، وعقاب طويل ، من فرض حروب إبادة ، وتصفية جنسية ، كما هو الواقع المعاش في كثير من بقاع العالم حيث يعيش المسلمون أو فيها أقليات مسلمة ، وهم يتجرعون كأس المرارة والعذاب منذ أمد طويل .

يتفنن أعداء الإسلام في محاربة المسلمين وإذابتهم في بوتقة الكفر والإلحاد ، ويأخذون أساليب شتى لتحقيق هذا الغرض من الإرهابية والتخويف ، ونشر الأدواء الخلقية من الانحلال والإباحية والتعويد على المخدرات الخطيرة ، والأزمات النفسية والمشكلات الاقتصادية ، والتلويثات البيئية ، والتهديد من المجاعة العالمية من أجل الانفجار العمراني والكثافة السكانية ، وإقامة المرأة مقام الرجل في الحكم والسياسة والتدخل في القضايا العالمية ، بصرفها عن شئون التربية والتدبير المنزلي ، والإشراف على بناء الأسرة السعيدة ، وحسبنا كدليل على هذه الرؤية الشاذة نحو المرأة ما يوجد اليوم في بلدان المسلمين العريقة في الإسلام والتي دينها الرسمي الإسلام ، وأهلها الساكنون من المسلمين المتصلبين في العقيدة ، من ظاهرة تولية المرأة مقاليد الحكم وإقامتها في أخطر وأهم منصب سياسي ، وهو منصب رئاسة الوزارة ، وتعيينها كرئيسة الوزراء في تركيا ، وباكستان وبنغلاديش ، وليس هذا العمل صدفة من صدف التاريخ أو المصادفات السياسية ، إنما تم ذلك بتخطيط كامل من السياسة الأمريكية الخارجية التي تركز على سياسة الاحتواء

في بلدان المسلمين ، ولم تكن بداية هذا الاحتواء من تركيا إلى بنغلاديش عملاً عاديًا ، وإنما هو جزء من برامج الإذابة والتمويع لبلدان المسلمين « الأصوليين » أولاً ، ومنها العالم الإسلامي بكامله الذي يعتبر مهد الإسلام ومنطلق الإيمان والدعوة الإسلامية في العالم كله .

هناك دعوة ملحة إلى ما يسمونه بوحدة الأديان ، ولا يريدون بها إلا الإسلام الذي يجب أن يندمج مع اليهودية والنصرانية والهندوسية والبوذية ويتصالح معها على شريطة التنازل عن بعض خصائصه ، بل عن تميزاته ، ولا يلح على تشخصه الإسلامي وشكله الديني الخاص ، ذاك لأن الإسلام إنما هو دين المرونة والتسامح والأخلاق يُجل جميع الديانات السابقة ويحترم أهلها والداعين إليها ، وليس فيه إكراه ولا ممالأة .

بهذا وأمثاله من الادعاءات والافتراضات ، والكلمات المعسولة يدعون إلى اختيار موقف لين في العقائد الأساسية واتخاذ طريق الحياد في شأنها ، وخاصة في العالم المتغير الذي يعيش مرحلة انتقال من عالم منغلق محدود إلى عالم يتميز بالانفتاح والحرية والحضارة والعلم ، ولا يحتمل تقديس الأصول والجذور ، لذلك فإن من اللازم أن تتوحد الأديان في ضوء الواقع وتفسح الطريق للعالم البشري يتطور ويتقدم إلى الإنسان بتسهيلات حضارية وفلسفات جديدة للحياة والمجتمع ، فذلك هو السبيل الوحيد لبقاء الديانات في المسابقة العالمية بين الحضارات والعلوم والسياسة ومهما أطلق الدعاة إلى هذه الوحدة الدينية كلمة الأديان ، ولكنهم لا يعبرون بها إلا عن الإسلام ، ولا يتوخون من وراء هذه المحاولة إلا أن يذوب الإسلام عقائديًا ولا يبقى له إلا هيكل ظاهريّ فقط .

وقد يشوب هذه السياسة نوع من العاطفية الخرقاء لدى بعض الجماعات المتطرفة التي تعادى الإسلام وتنادى بأن سيوف المسلمين هي

التي كانت سببًا لا نتشاره في العالم بالاجبار ، وأن الملوك المسلمين هم الذين فرضوا دينهم على الناس ، وهي تعتبر العصر الراهن فترة الانتفاضة العقلية وخروج الإنسان من الحصار الذي عاشه لمدة طويلة إلى عالم حرّ لا يُقرّ بسياسة الإكراه التي وقع فريستها الناس في التاريخ الماضي ، وهي تزعم بأنها سوف تستعيد اليوم ما قد فقدته على يد العصبية الدينية والحضارية فيكون ذلك إيذانًا لنهاية الاضطهاد الديني والسياسي ، وافتتاحًا لعهد جديد سعيد ، وهنالك يحرم المسلمون مكانتهم ويكتب لهم « الشقاء والعبودية » حينما تتقدم إليهم الشعوب المضطهدة بسوط النقمة ، وتذيقهم سوء العذاب على الجريمة التي اقترفوها في التاريخ .

بمثل هذه الترهات والأباطيل يجهر أعداء الإسلام اليوم على مسمع العالم ويشنون الغارة الشاملة بكل أسلوب ممكن على شريعة الإسلام وأحوال المسلمين الشخصية ، وبلادهم العريقة في الإسلام ، ويتناولون الحضارة الإسلامية بالتزييف ، والحياة النزيهة الدينية التي يُعلمها الإسلام ، بمعاول الهدم والنقد اللاذع ، ويستهزأون بها على رؤس الأشهاد ، ولقد أشعلوا نار الفتن والبلاء في كثير من أقطار المسلمين ونفذوا مخططات التدمير والإبادة الكاملة في مجتمعات إسلامية واسعة ، وكأن السياسة اليهودية اليوم تلعب بمصير المسلمين وتحاول تعريتهم عن لباس الحشمة والوقار ، على قارعة الطريق ، وتعاملهم معاملة العبيد الأذلاء ، وهل هناك صورة أوضح لهذه الذلة والاستيلاء على المصير ، من حياة المسلمين في فلسطين المحتلة ، والهدنة المزعومة التي نكست رؤس المسلمين في جميع أنحاء العالم ، وليست فلسطين وحدها ، بل إن هناك أبشع الأمثلة من الازهاق والتدمير ، التي تعيشها الأقليات الإسلامية في

العالم ، وهي تشقى في عقيدتها وحضارتها ، ومقدساتها وبُعدها الإيماني ، من أجل هذه العداوة التي امتزجت بلحوم ودماء رؤس السياسة العدائية الذين لا يهمهم إلا أن يشنوا الغارة على كل ما ينتمي إلى الإسلام أو يكون له به صلة ما .

إنني اعتقد أن واقع السياسة اليهودية العالمية التي تتبناها الولايات المتحدة نحو الإسلام والمسلمين إنما هو تفسير لقوله تعالى : ﴿ لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ وإن وفقة قليلة متأملة على هذه الآية الشريفة لتعطينا صورة كاملة لواقع العداء وظاهرة الانتقام اللذين يتولاهما اليهود والمشركون بإزاء العالم الإسلامي والدين الإسلامي ، ويركزون على هذه النقطة بصورة مذهلة .

أما مودة النصارى للمؤمنين فقد تحققت يوم كان فيهم قسيسون ورهبان ، وتوجد في نفوسهم جمرة إيمان ، وما كانت لهم أي صلة باليهود الذين كانوا يتهمون دين النصرانية بقرف وإتهامات خبيثة لن يرضى بها النصارى عن اليهود البتة ، ولكن تغير الوضع حين تصافحت اليهود مع النصرانية في سبيل العداوة للإسلام ، والتقى الفريقان على نقطة التدمير والقضاء النهائي على المسلمين ، وتشويه صورة الإسلام النقية الجميلة الوضاء .

وذاك ما نشاهده اليوم في أشكال مختلفة وأساليب منوعة ومخططات مدروسة تتجلى بغاية من الوضوح في كل مكان ، وتستهدف الإسلام دينًا وعقيدةً ، وحضارة وشريعة ، وأمة ، وتستهدفه منطلقًا للاشعاع الفكري والإيماني ، فإلى الله وحده المشتكى : ﴿ هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ . ويقول الله تعالى : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي:

اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد !

[هذه أول محاضرة ارتجلها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، في الموسم الثقافي (١٧) الذي دعى إليه ، لالقاء محاضرات في موضوع الدعوة الإسلامية ، على دعوة من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لدولة قطر ، في شهر ذي القعدة المنصرم (أبريل ١٩٩٥م) نقلها من الشريط أخونا الأكرم الأستاذ محمد إكرام الحق الندوي مشكورًا ، ننشرها هنا نظرا إلى قيمة المحاضرة وأهميتها ، وتعميما للنفع] [التحرير]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، خاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أما بعد ! فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لو لا دعاؤكم • فقد كذبتم فسوف يكون لزامًا ﴾ سادتي وإخواني ! أنا حائر في أمري ، هل أقرأ المحاضرات التي أعدت ، لهذه المناسبة الكريمة ، أو أن ارتجل كلامي ارتجالاً ، وقد جربنا وشاهدنا مرارًا ، أن الكلمة المكتوبة إذا تُليت تلاوة قد تشق عل المستمعين ، ويتبرمون من سماعها ، فاعتمد على الله ، فأقول ما يفتح الله به عليّ ، في ضوء هذا المقال الذي سيطبع ، وسيوزع إن شاء الله تبارك وتعالى ، وتطلعون عليه .

إخواني ! إننا جربنا على المجتمع البشري وعلى الأفراد الإنسانية ، وعلى إخواننا وعلى أنفسنا أيضًا ، أننا إذا مررنا بلوحات ولافتات مرات كثيرة ، وبطريق عادي يومي ، فإنها لا تسترعى الانتباه ، وقد يمكن إذا سئل أحدهم ، ما هي اللوحات التي تمرون بها كل يوم ، وما هي اللافتات ،

وما هي المنازل المكتوب عليها أسماء الساكنين ؟ لم يتيسر لهم الجواب ، ذلك لأن الإنسان إذا مر بشئ عادي ليست له عناية به ، أو ليست عنده حاجة إليه ، فإنه يمرّ به مرًا سريعًا ، وكذلك يحدث مع الدارسين للتاريخ الإسلامي ، والتاريخ البشري ، وتاريخ الحروب الطاحنة ، وتاريخ الثورات الكبيرة ، التي يرتبط بها مصير الأمم والشعوب ، فإنهم قد يمرون بجملة أو بعبارة أو بحادثة ، تسترعى انتباههم وتستوقفهم وقفة طويلة ، وقفة خاشعة ، وقفة متأملة ، كيف وقع هذا ؟ وكيف تكلم فلان بكذا ؟ ذلك لأنه قد اعتاد قراءة الاطلاعات عن الحوادث ، ودراسة التاريخ ، فيقرأ التاريخ كأنه شئ عادي ، وهذا يقع كثيرًا ، فاعتبر نفسي واعتبركم من المطلعين على التاريخ ، ومن الدارسين المتتبعين ، لتاريخ الإسلام ، والسيرة النبوية ، فأنا انتهز هذه الفرصة الكريمة ، التي أتاحها الله لي ، وأكرمني بها ، أن استلفت انتباهكم ونظركم إلى جملة تأتي في التاريخ ، والسيرة النبوية ، ولكنها لا تسترعى انتباهنا ولا تستوقفنا ، وكانت جديرة أن تستوقفنا وقفة خاشع ، حائر ، متأمل ، دارس ، باحث ، متسائل ، كيف قال فلان هذا الكلام ، كيف وقع هذا ، نقرأ في التاريخ والسيرة النبوية ، أنه لما زحفت قريش على المدينة ، وكان عدد المقاتلين كما رواه التاريخ بالإجماع أنهم كانوا ألف رجل شاكيي السلاح ، مدججين به ، وكان عدد الذين جاءوا إليهم ليقاتلوهم ، لا يتجاوز عن ثلاث مائة و ثلاثة عشر رجلاً ، وكانت النسبة بعيدة ، والفجوة لم تكن عميقة ، فحسب ، بل كانت شاسعة جدًا ، وكان القياس يقتضى ، وكان العقل البديهي ، وكانت تجارب العقل الإنساني يقضى ، بأن المسلمين - لا قدر الله تعالى ، واستغفر الله العظيم - سيُهزمون ، لأنه لا نسبة بين العددين في أيّ حال ،

وهم ألف جندي بسلاح تام ، وهؤلآء ثلاث مائة رجل ، فكان العقل العام ، ولااستنتاج النتائج في ضوء الوقائع وفي ضوء العقل العام ، يُقرر ويقضى بأن المسلمين - لا قدر الله - سيُهزمون ، واستعرض الرسول -ﷺ- هذا الواقع ، وإن استعراض الشئ ، شئ معقول ، وشئ إنساني ، شئ حسّي لا بأس به ، استعرض الواقع فرأي أن الفجوة بعيّدة جدًا ، وأن التفاوت عظيم جدًا لا يقاس ، ألف رجل شاكيي السلاح ، مدربين للحرب ، ومتحمسين جدًا ، للقضاء على المستقبل الإسلامي ، القضاء على الدعوة الإسلامية ، وهناك ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً ، فيهم بعض الصبيان ، الذين جاءوا وحرصوا على المشاركة وأن يُسمح لهم ، بالخوض في المعركة والمشاركة في الحرب ، فلما رأي الرسول -ﷺ- هذا الواقع قام يصلى ، لأنه يعرف أن النصر بيد الله تبارك وتعالى و أن السلاح ليس هو القاضي المقرر للمصير ، والعدد ليس هو القاضي المقرر للمصير ، وليس التجريب الحربي ، والحماس الحربي هو القاضي المقرر للمصير ، والقاضي لإرادة الله تبارك وتعالى ، فبدأ يصلى ، ويخشع ويرق قلبه ، وتدمع عيناه ، حتى رق له قلب سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : يا رسول الله ! توصل على الله ، لا تفزع وهو لم يستطع أن يحتمل هذا المنظر ، فقال رسول الله -ﷺ- جملة هي تستلفت نظركم واتجاهكم وتأملاتكم ، إن هذه الجملة - وسامحوني إذا قلت - تفوق كثيرًا من التأمل فيها ، والاعتبار بها ، ومعرفة قيمتها « اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » وجاء في بعض الروايات وبعض السير « لن تعبد على الأرض » وفي رواية « لن تعبد أبدًا » فكيف يكون هذا الرسول العارف بالله تبارك وتعالى ، العارف بغنائه ، العارف بصمديته ، العارف بقدرته

، العارف بأنه أسمى من كل هذا ، ومهما انهزمت الطوائف ، وانتصرت الطوائف ، وقامت الدول ، أو زالت الدول ، وتقلبت الأحوال والأوضاع ، فإن الله غني عن كل ذلك .

كيف قال الرسول -ﷺ- هذا الكلام ، « إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » حتى كان سببًا للنصر ، النصر المبين ، النصر الخارق للعادة ، المحير للعقول والألباب ، والتجارب الحربية ، وتاريخ الحروب الساحقة ، لما قال الرسول -ﷺ- إن تهلك هذه العصابة ، كان معنى ذلك نصر الله المسلمين ، وكان معنى ذلك أن قيمة المسلمين ، وأن شريطة بقاء المسلمين ، وأن مبرر وجودهم ، رغم هذه المعارضات العنيفة ، وهذه المؤامرات الدقيقة ، وهذه العزائم القوية ، وهذه الأسلحة المدمرة ، هو أنهم يدعون إلى عبادة الله تبارك وتعالى ، يعبدون الله وحده ، ويجاهدون ، ويجتهدون ، لتنفيذ أوامر الله تبارك وتعالى وشرائعه ، وهذه هي القيمة لهذه الأمة .

إخواني ! لا أدل من هذا ، ولا أوضح من هذا الكلام ، وأنا أقول ذلك في ضوء دراساتي الواسعة المقارنة وتجاربي الحيوية والطبيعية والعقلية ، أولاً نستغرب كيف قال الرسول -ﷺ- هذه الكلمة الواضحة الصريحة التي لا يقولها الرسول بنفسه ، وهو العارف بالله تبارك وتعالى ، وأقول هذا وأنا في بيت الله وفي الجامع ، أمام الناس جميعًا ، إن رسول الله -ﷺ- أعرف الناس قاطبة بغير استثناء ، أعرف بجلال الله وأعرف بغنائه ، وهو يعرف انه غنى عن العالم كله ، وأنه لا يحتاج إلى الأسباب ، لا يحتاج إلى من يدعو إليه ، ويدعو إلى التوحيد ، وإلى عبادة الله وحده ، هذا الرسول أعرف بني آدم بغناء الله تبارك وتعالى ، وبصمديته ، ولكنه قال ذلك بإلهام من الله تعالى ، أنا أومن بأن الرسول - عليه الصلاة

والسلام - ما جرت على لسانه هذه الكلمة ، الخارقة للعادة ، المحيرة للعقول والألباب ، وغير المتوقع ، لم يكن أحد يتوقع أن يقول الرسول هذه الكلمة ، إنما كانت إلهامًا من الله تبارك وتعالى ، في معركة بدر على رغم قلة العدد ، ورغم ضعف أسلحتهم ، كان ذلك برهانًا على أن قيمة بقاء هذه الأمة ، عزيزةً منصورةً ، غالبة فائزة ، منتصرة وعالية ، وكلمتها عالية ليست إلا من عند الله تعالى ، ولو لا هذه الأمة الإسلامية لما كان هناك أحد يدعو إلى عبادة الله وحده ، ويعبد الله وحده ، ويحاول تنفيذ شرائعه وأحكامه ، في الأرض ، ومعنى ذلك أن قيمة وشريطة وجودهم ، وأنا أقول بكل صراحة ، كما افتتحت حديثي هذا بقوله تعالى : ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾ فشريطة بقاء هذه الأمة ، عزيزةً شريفةً مكرمةً ، منصورةً من الله غالبةً ، رغم المعارضات ورغم المؤامرات ، ورغم المناوئات ، والمناوشات ، والحروب الطاحنة ، التي تقضى على الأمة ، و تستأصل أمة بأصلها ، إن شريطة بقاء هذه الأمة ، هي أن تعبد الله وحده ، أينما كانت ، وتنفذ أوامره ، تطيعه وتنقاد له ، وتجاهد في تنفيذ شرائعة في العالم كله ، فإذا فقدت هذه الأمة ، هذه الميزة ، أقول لكم بكل صراحة ، الميزة التي كانت سببًا لانتصارها على العدو الغالب الكاسر ، شاكي السلاح المسلح ، شريطة بقاء هذه الأمة أن تظل دائمًا في كل مكان وفي كل زمان متمسكة بعبادة الله تعالى وعقيدة توحيد الله ، أقول لكم بكل صراحة : حتى في هذه البقعة الشريفة ، في الجزيرة العربية ، التي انبثق منها نور الإسلام ، وانتشر منها ضوء الإسلام ، ومنها نال الجيل البشري ، في كل عصر ثروتين عظيمتين ونعمتين كبيرتين ، ثروة الإيمان ، ونعمة القرآن الكريم ، نعمة الإيمان بالرسول -ﷺ- ، وبشريعته

وبكتابه تبارك وتعالى ، الكتاب المحفوظ ، الذي يقول الله فيه : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فشريطة بقاء هذه الأمة ، أقول لكم بكل صراحة ، ليست الاقتباس المدني من هذا البلد ، وذاك البلد ، ولا مسايرة الموضات ومسايرة العادات والتقاليد ، ومسايرة الأحكام الحضارية ، ومسايرة قوانين الحضارة ، ليس شئ من ذلك هو الضامن لبقاء هذه الأمة ، الشئ الوحيد الضامن أن تظل هذه الأمة متمسكة بعقيدة التوحيد ، متمسكة دائبة على عبادة الله تبارك وتعالى وتنفيذ أحكامه وشرائعه في العالم ، كلما سنحت لها الفرص ، وكلما فتح الله لها ونصرها الله تعالى ، وكل بقعة تدخلها ، وتحكمها ، وكل مجتمع تسوده ، تنفذ فيه إرادة الله ، وتخضع لله تعالى ، وتواطئ رأسها أمامه ، تدعوه ، وتبتهل إليه وترجو منه ، تخافه ، وتنفذ شريعته ، وتطبق أحكامه على البشرية كلها ، وعلى المجتمع البشري كله ، فإذا فقدت هذه الأمة - لا قدر الله لها - هذه الشريطة ، فقد فقدت جدارتها للحياة ، واستحقاق هذا البقاء ، أقول لكم هذا وأنا أحمد الله تبارك وتعالى .

إن الله سبحانه وتعالى هيّأ لي هذه الفرصة الكريمة لإطلاق هذه الكلمة ، في أرض ندين لها في الدين ، ندين لها في الإيمان ، وفي الإنسانية ، وفي الفضيلة ، وفي الحضارة ، وفي الثقافة ، وفي كل شئ ، وفي هذه اللغة التي تعلمناها منكم ، أنا نشأت في الهند ، ولكن الإسلام هو الذي هيّأ الطريق للعثور على هذه اللغة العربية ، في بلاد تحارب فيها اللغة الوطنية الأردية الفصيحة العامرة ، الزاخرة بالمكتبات ، والزاخرة بالآداب الرفيعة ، والشعر البليغ ، البلاد التي تحارب فيها اللغات المحلية ، تغزو فيها هذه اللغة العربية ، وهنالك مدارس تدرس اللغة العربية ، وشباب يهبون

حياتهم ، وكفاءتهم وذكاءهم ، وطاقاتهم كلها ، لدراسة اللغة العربية .

فأقول يا إخواني ! إن أكبر شئ يجب أن تحرص عليه الأمة الإسلامية ، وتعض عليه بالنواجذ ، وتتمسك به بكل قوة ، هو الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، وتبليغ أحكامه ، وتنفيذ أوامره ، والدعوة إلى التوحيد الخالص ، والدعوة إلى عبادة الله وحده ، فإذا فقدت هذه الأمة - لا قدر الله لها - هذه الشريطة فقط ، امتلكت كل شئ ، امتلكت ما تمتلك أمريكا ، وما تمتلك بريطانيا ، إنكم تعرفون جيمعًا : إذا قيل لواحد : إنك لو فعلت كذا لأعطيتك كذا ، فإذا فعل هو كان عليه أن يوفى له الوعد ، وإذا لم يحقق هذه الشريطة فلا يستحق هذه الجائزة ، فجائزة هذه الأمة مشروطة - ولا أقول رضا الله ونصر الله تبارك وتعالى - مشروطة لبقاء هذه الأمة على هذه الصفة ، الصفة الفريدة ، المميزة ، والصفة المشخصة ، والصفة الكبرى التي تدعو هذه الأمة أن تعبد الله ، وتدعو إلى عبادته ، وليس معنى ذلك أن تكتفى بالصلاة ، وإن كانت الصلاة لها أكبر فضل ، و لكن لا يكفي أن تصلي هذه الأمة وأفرادها في المسجد فقط ، وتكتفي بها ، وهذا المسجد ، عامر بعبادة الله تبارك وتعالى ، بل من الواجب أن تدعو البشرية كلها إلى عبادة الله وحده ، وإلى عقيدة التوحيد ، وأذكر لكم على سبيل المثال كلامًا حضرني الآن ، وهو أن رستم قائد قواد الفرس الذي كان يلى يزدجرد ، ويلى امبراطور إيران في المنزلة وفي المكانة وفي القوة ، أرسل إلى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : ارسل إليّ أحدًا من جيشك ، نسأله ونستفسره ، ونستوضحه ، لماذا جاء العرب ، وقد مضت عليهم قرون متطاولة ، ولم يحلموا بغزو الفارس ، بل لم يروا في المنام أنهم يغزون الفارس ، فإن العرب ما كانوا يحلمون بذلك ما كانوا يرون حتى في المنام أنهم سيغزون الفارس ، وروما الكبرى ، ولكن حقق

الله هذا ، وتحقق ، فقال : ما الذي جاء بكم ؟ الجواب الذي أجاب به سيدنا ربعي ابن عامر - رضي الله عنه - قد فات كثيرًا من المؤرخين والمثلين والمتأملين ، أو الخطباء والمؤلفين ، قيمة هذا الجواب ، وهذا جواب لا يوجد له نظير ، في ضوء دراساتي ، وأنا تلميذ من تلاميذ التاريخ ، وهوايتي التاريخ ، فمثل هذا الجواب لا يوجد له نظير في تاريخ الديانات وتاريخ الغزوات ، في وقت واحد ، قال له رستم : ما الذي جاء بكم ، فكأنه ينتظر ، أن يقول له : إننا ضقنا ذرعًا بعيش الصحراء ، تركب الإبل ، نسكن ونعيش في أخبئة من أدم أو جلد ، أو هكذا ، وسئمنا هذا العيش ، وخرجنا لنأخذ نصيبنا من هذا الغنى ، ومن هذه الثروات ، أو من هذه الأساليب الباذخة الرفيعة للعيش ، ولكن الجواب الذي أجاب به ، كان المفاجئ التاريخي والعقلي كذلك ، قال : « الله ابتعثنا » كل كلمة تحتاج إلى التأمل ، لم يقل خرجنا ، لا ، ولم يقل الله بعثنا ، وهذا من بلاغته العربية وعقله المؤمن ، أنه ميّز بين بعثنا وابتعثنا ، قال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء ، لم يقل : لنخرج من نشاء ، كل كلمة تدل على إيمانه وعمق تفكيره ، ودقة فكره ، وكان كل حديثه مرتجلاً ، ولم يكن نتيجة فكره ، وأنا اعتقد انه لم يتوقع أنه لما وجه إليه هذا السؤال فإنه سيرد عليه : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده » وأغرب من كل هذا : « ومن ضيق الدنيا إلى سعتها » والله لو قال : « وأنا في يد الله » لو قال من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، لما استغربنا ؟ إن الآخرة في الحقيقة أوسع ، وكل مؤمن يؤمن بأن الآخرة أوسع وأرفع من هذه الدنيا ، ولكن كيف يقول لرستم ، وهو رجل ما يُدرى هل كان قد تغدّى أم لا ، ما ندري هل كان يملك ما كان يسد الرمق ، إنه يقول : من ضيق الدنيا ، يا رستم ! يا قائد قواد الفرس ! ما جئنا

لأجلنا ، ما جئنا في مصلحتنا ، ما جئنا في قضاء وطرنا ، ما ساقنا إليكم أيها الفرس ، الطمع في الملك ، أو الطمع في الثروة ، إننا ساقنا إليكم الترحم عليكم ، والإشفاق عليكم ، العطف عليكم ، كيف تعيشون ؟ « لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها » أنتم في ضيق ، أنتم كمثل البلبل في قارورة من زجاج ، قد وضع فيها الماء ، أنتم تعيشون كبلبل ، تحتاجون في كل شئ إلى كل شئ ، كما رواه المؤرخون الأمناء ، منهم أستاذ كبير أستاذ في دنمارك ، وله كتاب خاص بالساسانيين يقول : إن يزدجرد ، خرج لما رأى أنه لا محل له في العاصمة الفارسية العربية ، رأى أنه لابد أن يلجأ إلى التهرب ، فأخذ معه ألف طاه وألف مغن ، وألف مرب للصقور ، فقال : يا ويلتا كيف أعيش بهذه القلة القليلة ، ما أشقاني ! ما أتعبني ! أخرج بهذه القلة القليلة كيف أعيش ؟ فنحن خرجنا لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها ، يقول هذا ربعي بن عامر : والله قد فات كثيرًا من المؤرخين ، والمبتبصرين ، والمعلقين ، والمعلمين ، والمحللين ، للحوادث التاريخية أن يفكروا فيها ، ويعطوا هذه الكلمة حقها ، من التأمل ، كيف يقول ربعي ابن عامر وهو رجل يسكن في خيمة : قد خرجنا لنخرجكم من ضيق الدنيا ، قد أخرجنا الإشفاق عليكم ، العطف عليكم ، والرحمة بكم ، قد خرجنا لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، هذه الميزة لهذه الأمة ، يا أمة محمد -ﷺ- ويا سكان الجزيرة العربية ، والبلاد العربية ، والناطقين باللغة العربية ، والفاهمين للقرآن بالطريق المباشر ، تفكروا في هذا ، و وازنوا هذه الأمة أن ترثى لأهل أمريكا ، وأن ترثى لأهل بريطانيا ، وأن ترثى للدول الكبيرة ، كلها تعيش في ضيق ، كلها عبيد الموضات ، والأحكام التي هم وضعوها ، وهم

عبيد أنفسهم ، وعبيد حضارتهم ، لا يستطيع أحد أن يخرج في غير اللباس الذي يلبسه الناس .

ولا يستطيع أن ينصف الناس ، وهو يعيش في مكان متخيل مصطنع ، صناعي سام ، كلهم عبيد مدنيتهم وعبيد عاداتهم ، وعبيد موضاتهم ، وعبيد قوانينهم ، فكان المتوقع والمرجو ، والمعقول ، أن تشفق هذه الأمة ، وأن ترق قلوبها لهؤلآء ، بدل أن تحسد ، وأن تغبط : يا ليتنا نعيش كما يعيش الأمريكيون ، يملكون الثروات العظيمة ، ويملكون اللايين ، يا ليتنا عشنا كما يعيش البريطانيون والهندوس ، لا أبدًا ، كان الواجب أن نترحم ، وأن ترقّ قلوبنا لما هم في ضيق ، لما هم عبيد لموضاتهم وقوانينهم وأنفسهم .

أيها الإخوان ! إن شريطة بقائنا ، وعزنا وشرفنا ، وشريطة نصر الله لنا ، أن نعيد خصائصنا وميزاتنا التي رفعنا الله بها على الأمم ، وأما أن نقلدهم في موضاتهم وثرواتهم ، ونحسدهم على سلطتهم مثلاً ، فهذا عدم قدر لنعمة الله تبارك وتعالى فلابد أن نذكر دائمًا أن الله تعالى قد نصرنا في بدر لأنه صدق قوله ، إن تهلك هذه العصابة لن تعبد ، فصدّق الله تبارك وتعالى هذا ، فيجب أن نحافظ على هذه الشريطة ، وأن نقوم بواجب الدعوة ، لا نحسدهم ولا نغبطهم ، بل ترق قلوبنا لهم ، وأن نخرج إلـــى هذه البلاد دعاة ، هادين ، موجهين ، مرشدين ، نعم ، ونضرب لهم مثلاً ، في البساطة ، ومثلاً في صلابة الإيمان ، وندعوهم إلى أن يجلونا ويعتمدوا علينا ، ويقتبسوا منا ، ويستنيروا منا نور الحياة ، ونور الفطـــرة السليمة ، ونور خشية الله تبارك وتعالى ، ونور الاعتماد على الله ، ونور المساواة البشرية الحقيقية ، هذا الذي نخافه الآن ، إن المسلمين قد نسوا أو تناسوا ، هذه الشريطة ، إن الله قد نصرهم لأنه

صدق قول الرسول - عليه الصلاة والسلام - « اللّهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » فيجب أن نعود إلى هذه الميزة ، وإلى هذا الفارق الأصيل الجذري ، بين الأمم ، وأن نكون دعاة إلى الله ، وإلى التوحيد ، ودعاة إلى المساواة البشرية ، وإلى العدل الإنساني ، ودعاة إلى الخضوع لله ، بدل أن نعتبر تقليد الحضارة الغربية ، والشعوب الغربية ، الفوز الأكبر ، فيجب أن نكون معتزين بنفوسنا ، وبإيماننا ، ومعتزين بعقيدتنا ، وبحضارتنا ، ومعتزين بتعاليم النبوة ، و واثقين بنصر الله ، وهنا تتغير خريطة العالم ، وهي لا تتغير بالمؤامرات التي تُحاك هناك ، والمخططات التي توضع هناك ، تتغير خريطة العالم بعودة هذه الأمة إلى منهجها ومبدئها ، وإلى غايتها وإلى ميزتها ، وإلى الكرامة التي أكرمها الله بها .

هذه كلمتي القصيرة ، إنما لخصت كلمتي ، وسيطبع هذا المقال إن شاء الله تعالى ، وتطلعون عليه ، ولكني استحييت وخفت أن أُدخل السئامة عليكم إذا قرأت هذا المقال الطويل ، ولم يكن طويلاً ، بل قصيرًا ، وأرجو من الله تبارك وتعالى أن أكون قد برئت من ذمتي قليلاً ، وقد قمت بواجب الشكر والامتنان لكم ، لأنني قد تعلمت كل ذلك منكم ، تعلمت من هذه الجزيرة العربية ، وتعلمت من المسلمين ومن الأمة الإسلامية الأولى ، ومن كتبها وعلومها ، ومن الذين نشروا الإسلام في كل العالم ، فأرجو منكم أن تتولوا منصب القيادة ، وأن تأخذا مكانكم ، في مجال هذا العصر ، وفي هذه الساحة ، تأخذوا مكانكم اللائق بكم ، المشرف لكم ، والمنقذ للبشرية كذلك ، هذه كلمتي القصيرة ، وأشكركم على حسن الاستماع ، وحسن الانتفاع كذلك ، والأمر بيد الله تعالى .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

من حق الزوجة

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

لم تهتم شريعة من الشرائع ، ولم يراع مذهب من المذاهب ، أو مبدأ من المبادئ في أي عصر ومصر ، وضع المرأة والارتقاء بمنزلتها ، بمثل ما جاء في شريعة الإسلام ، فقد رفع الله قدرها ، وأعلا مكانتها في الحقوق والواجبات سواء كانت أمًا أو أختًا ، أو زوجة أو بنتًا ، أو بأي منزلة من منازل القربى ، وما ذلك إلا أن دين الإسلام هو دين السمو والرفعة ، وهو الدين الذي اختاره الله لخير أمة أخرجت للناس ، وهو الدين الذي أكمل الله به الرسالة ، وبعث الله أفضل رسله ، وأكرم الخلق عليه الصلاة والسلام .

ولذا فإنه قد شمل شئون الحياة ، وما يسعد بعد الممات ، وكان كتاب الله -عزوجل- وهو المصدر الأول للتشريع في دين الإسلام شاملاً وجامعًا لكل شئ ، وما يدرك أسراره ، وخفايا دلالته إلا من اتسع علمه ، وتتبع عقله بالفهم وقوة الإدراك ، وتنوّر ذهنه بضياء الحق واليقين ، المنبعث من لذاذة الإيمان ، الذي أساسه ومرتكزه المتين ما جاء في الحديث الشريف الذي يقول فيه -ﷺ- : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا ، وبمحمّد نبيًا ورسولاً » والرضا لا يعني التلفظ بالقول ، بل هو قناعة بالقلب ، ومتابعة بالعمل ، وتكبر دائرة هذا الفهم عند ما

يقرأ الإنسان ويتابع أحوال الأمم في أي مرفق من شئون الحياة ، ويرى ما وقع فيه الناس يمينًا وشمالاً ، من متاهات ، وما أثقلهم من مشكلات عجزوا أن يجدوا لها حلاً ، ليجدها ميسرة في منهج الإسلام ، ومكتملة الجوانب في عقيدة المسلمين ، فلا يرون مشقة أو عناء في تصرفاتهم ، ولا في تفاعلهم مع الأمور ، لأن أبسط رجل في المجتمع الإسلامي ، قد حرص على منهج الإسلام ، والتزم ما يأمر به ، فأعطى ما عليه من حقوق ، وتجنب ما زجر عنه من نهى .

وحق المرأة في الحياة الزوجية ، منذ بداية العشرة ، إلى أن تتقدم بها السن ، قد صانها الإسلام ، وأعطاها مكانة عالية ، تنبئ عن اهتمام هذا الدين بجانب كبير في الحياة الاجتماعية ، وقد أولاه ما يستحقه من الرعاية حتى يعيش في كنفه طبقات المجتمع : أفرادًا وجماعات ، مطمئنين ، بعيدين عن القلق النفسي ، الذي يعيش الغرب فيه بحضارته ، ويرزح في ثقله ومعاناة مشكلاته ، أوالآلام الوجدانية ، التي تحاصر المعتنقين للمذاهب الشرقية بمبادئها وتنصلها مع الدين والقيم ، فكان الإسلام وسطًا بين المتطرفين يمينًا والجانحين يسارًا ، فأراح النفوس ، وأيقظ الأفئدة ، حيث جعل سبحانه من آياته تهيئة كل من الزوجين لصاحبه ، ليكون له سكنًا يجلو الهم ، وتتفاعل أحاسيسه مع أحاسيسه : فكرًا وعاطفة وحنانًا ومشاعر ، يقول سبحانه وتعالى في سورة الروم : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها • وجعل بينكم مودة ورحمة • إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [القرآن] أي من جنسكم حتى تتلاقح الأفكار ، وتتحد المشاعر ، وتتقارب وجهات النظر :

فهمًا لما يتطلبه الآخر ، وإدراكًا لما يجب أن تكون عليه المشاعر في الحياة الأسرية التي أساسها الزواج ، والتي من المودة المتبادلة ، تخرج الثمرة الطيبة ، وهم الأولاد زينة الحياة الدنيا ، وأمل الأمة في مستقبلها ، وعدتها في الملمات ..

فكانت الحياة الزوجية ، إذا امتثل كل من الطرفين دوره في أداء الأمانة نحو الطرف الآخر ، وخاصة إذا أعطى القوي وهو الزوج ، ما عليه من حقوق و واجبات ، في تبادل مشترك ، وبراحة قلب للطرف الآخر ، وهو الأضعف وهي الزوجة .. استشعارًا بالواجب ، وامتثالاً لتعليمات شريعة الإسلام التي أعطت المرأة حقها كاملاً ، وحمتها من تسلط الرجل في أي تصرف يريد بها التسلط عليها أو هضمها حقها الذي رفع الله به قدرها في كل ما تتطلبه حياتها .

فإن إدراك هذا الجانب ، والسير فيه ينتج عنه السكن وراحة القلب ، الذي هو هبة من الله للزوجين لتستقيم به هناءة حياتهما ، فقد جعل الله بين الزوجين المودة والرحمة ، حيث يتوادّان ويتراحمان ، وما شئ أحب إلى أحدهما من الآخر ، ومن غير رحم بينهما ، ومن غير سابق عشرة ، قبل رباط الزوجية ، ويتمثل هذا الدور في مثل قصة عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - ، الذي أهمل زوجته لصيامه وقيامه ، حتى كانت لا تبالي بنفسها كأنها لا زوج لها ، فأخبرت عائشة - رضي الله عنها - النبي الكريم -ﷺ- بذلك ، فاستدعى المصطفى -ﷺ- عثمان ، وقال له : أترغب يا عثمان عن سنتي ؟ قال : بل اتبع سنتك يا رسول الله ، قال -ﷺ- : « أما إني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأعاشر أهلي ، فمن رغب

عن سنتي فليس مني » ثم قال -ﷺ- : « يا عثمان إن لنفسك عليك حقًا ، ولأهلك عليك حقًا .. فأعط كل ذي حق حقه .. فصم وأفطر ، وقم ونم » فهذا أدب رفيع من المصطفى -ﷺ- ، ليعلم أصحابه ما يجب عليهم نجاة أنفسهم ، وحقوق زوجاتهم ، حتى لا يهضموا نساءهم شيئًا من حقوقهن التي شرعها الله ، إذ للمرأة حق مادي بالكسوة والسكن بما يتلاءم مع دخل الرجل ، ولا ينقصها عن مثيلاتها ، وحق وجداني عاطفي ، باحترام المشاعر ، والعدالة عند ما يكون عنده أكثر من واحدة ، وحق معنوي ببذل الجهد في إراحة وجدانها ، وكسب مودتها ، لأن النفس مع من أحسن إليها .

فلقد روى عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه كان يتزين لأهله إذا ذهب إليهم ، أو جاء وقت النوم والراحة ، ويقول : لماذا لا أتزين لها ، وآتي إليها في أحسن صورة ، وأطيب ريح ، وهي تعمل ذلك من أجلي ، وما ذلك إلا لإدراكه رضي الله عنه ما يجب أن يرضى شعور المرأة ، ويشعرها باهتمام الرجل بها ، ليزداد إحساسها نحوه وتتوثق رابطة الألفة والعشرة بينهما .

وقد ذكر خير الدين الزركلي في كتابه الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، أنه كان رحمه الله يتزين لأهل طيبًا وغسلاً وملبسًا إذا جاء وقت الإياب إليهم ، ويقول بمثل قول ابن عباس - رضي الله عنهما - .

وقد قال كثير من المفسرين في قول الله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٩] : بأن المعاشرة بالمعروف ، هي الإجمال في القول ، والمبيت والنفقة ، وفهم الحسن البصري من عمل ابن عباس الذي

دعا له رسول الله -ﷺ- ، بأن يفقهه الله في الدين ، ويعلمه التأويل : أن دلالة المعاشرة ، هو أن يتصنع لها كما تتصنع له .

ولذا نهى الإسلام عن الإضرار بأمرأة ، في حالة كرهه الرجل لها ، أو معاندة بينهما بأن يتعمد الرجل الإساءة إليها في المعاملة ، أو يهضمها حقها ، أو يضيق عليها في النفقة أو يهينها بالكلام الجارح أو الضرب لغير سبب شرعي ، وقد أوصى رسول الله -ﷺ- بالمرأة خيرًا في خطبته في حجة الوداع ، وأكد على أدائها حقها في الحياة الزوجية ، لأنها أمانة في عنق الرجل ، استحلها بكلمة الله ، فإن كره منها شيئًا فليفارقها بإحسان ليجعل الله لكل منهما فرجًا ومخرجًا ، وما لا يرتاح له منها : صفة أو طبعًا أو تصرفًا أو خلقًا ، فقد يرضى به الآخر ، ورسول الله -ﷺ- ، يضرب المثل الفريد في حسن العشرة ، والنموذج الفذّ في كسب مشاعر نسائه ، ليأخذ منه أبناء الأمة الإسلامية في أي مكان كانوا ، وبأي زمان عاشوا ، الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة .. وهذا من الأخذ بسنته : قولية أو فعلية أو تقريرية .

= فقد كان يلاطف نساءه ويمازحهن ، وكان طيب العشرة معهن جميعًا .

= كما روى عنه -ﷺ- أنه كان يتسابق مع زوجته عائشة - رضي الله عنها - فسبقها مرة وسبقته مرة أخرى ، فقال : هذه بتلك .

= وكان يسمح لهن بمراجعة الكلام ، حتى إن عمر - رضي الله عنه - تأثر من ذلك ، وحتى إن أبا بكر كاد أن يضرب ابنته عائشة زوج النبي الكريم -ﷺ- ، فحال بينهما رسول الله -ﷺ- ، وقال ملاطفًا ومطمئنًا لعائشة : أرأيت كيف حلت بينك وبينه .

= وكان كثير المساعدة لأهله في أعمال المنزل ، كما قالت عائشة - رضي الله عنهـــا - : يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويحلب شاته ، ويكنس داره .

والمسلمون لهم في رسول الله أسوة حسنة ، وقدوة في أعماله وتصرفاته ، وتواضعه -ﷺ- ، حيث كان يحل القضايا العديدة ، التي تحصل في البيت الإسلامي في المدينة ، بما يعتبر نبراسًا تستضئ به الأمة في جميع عصورها ، وقد نزل ببعض ذلك قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة :

= فخولة بنت حكيم - رضي الله عنها - قد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، ونزلت بحالتها سورة قد سمع ، وأحكامًا يستضئ بها المسلمون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

= وثابت بن يسار روي أنه أراد مضارّة زوجته فكان يطلقها ، حتى إذا قرب انقضاء عدتها ، راجعها ثم طلقها ثانية وهكذا ، فاشتكت لرسول الله -ﷺ- ، فأنزل الله -جل وعلا- : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف • ولا تمسكوهن ضرارًا لتعتدوا ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢١] .

= وزينب بنت جحش -رضي الله عنها- ، لما طلقها زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ، وانتهت عدتها ، أمره رسول الله -ﷺ- أن : « يذكرها عليه » فانطلق إليها زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها ، فولاها ظهره ونكص على عقبيه حياء ثم قال : يا زينب أرسل رسول الله -ﷺ- يذكرك ، قالت : ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوامر ربي ، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن بشأنها في سورة الأحزاب ، وجاء رسول -ﷺ- فدخل عليها بغير إذن .

= والمرأة التي زوجها والدها من ابن أخيه ، فشكت إلى رسول الله -ﷺ- عدم رضاها ، ولما ذكر رسول الله -ﷺ- والدها عدم تزويجها إلا برغبتها ، قالت : لقد رضيت ما رضي لي أبي ولكني أردت أن يعرف الأولياء ، أن لبناتهم حقًا في التزويج والرضا بمن ستعيش معه .

= وهكذا لو تتبع المسلم ما جاء في شريعة الإسلام بمصدريها : كتاب الله -عزوجل- ، وسنة رسوله -ﷺ- من حقوق للزوجة ، فإنه سيجد تأكيدًا على الرجل ، حتى يعطى المرأة حقها في حياتها معه ، إذ نفقتها عليه : طعامًا ومسكنًا ، وملبسًا ومؤنة يومية .

= وإذا طلقها طلاق السنة ، فإنها تعيش في بيته مدة العدة ، لعل الله أن يجعل في قلبه مودة لها ليراجعها حتى تستقيم حياتهما سليمة وهنيّة .

= وإذا مات عنها زوجها تعتمد في بيته الذي مات وهي فيه ، المدة المقررة شرعًا .

= وإذا تزوج عليها أخرى أو أكثر ، يقسم لها ولا ينقصها حقها فيما يقدر عليه ويملكه ، وغير هذا من الحقوق الكثيرة وقد قرأت كاتبة ألمانية حقوق المرأة في الإسلام ، وهي التي تعرف ما ينال بنات جنسها من الإساءة والانتقاص باسم المدنية والحرية ، فقالت : إن الزوجة عند المسلمين ملكة غير متوجة ، بما لها من الحقوق والواجبات ، وما تلقاه من الاهتمام والعناية ، وإن المرأة الغربية لتحسدها على ذلك .

حيلـــــة :

كان من قصص بني العباس أن موسى بن عبد الملك استسلف من بيت مال الخـــاصة مالاً إلى أجل قريب ، وضمن للمتوكل أن يرده إلى الأجل

المحدد .. فجاء الأجل ولم يحمل المال ، فغضب المتوكل من مرافقته ، وقال لعبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وقع إليه عني برد المال اليوم ، وضيق عليه في المطالبة ، وأنفذ التوقيع مع عتّاب بن عتّاب ومره أن يطالبه ، فإن أخر أداء المال طالبه ، واضربه بالمقارع في ديوان الخراج ، بحضرة الناس ، وأن لا يرفع عنه المقارع ، حتى يصحح الحال .

فبادر بعض الخدم إلى موسى فأخبره بذلك ، فجلس ينظر في وجوه يردّ منها المال .

وصار إليه عتاب بالتوقيع مختومًا ، وكان يومًا شديد الحر ، وقد انتصف النهار ، وموسى في خيش .

= وهو نسيج من كتان يعلق في مجارى الهواء ، ويرش بالماء ليبردَ ما حوله ، في حجرة من ديوانه ، وفيه مروحة يتناولها فرّاشان يروّحانه ، فدخل عتاب وفي يد موسى كتاب طويل يقرأه ، فجلس وأكب موسى على الكتاب يتشاغل به ، عن خطاب عتّاب ، وأصاب عتاب برد المروحة والخيش فنام واستثقل .

وكان عتاب قد أخرج التوقيع حين جلس ، فوضعه على دواة موسى ، فغمز موسى بعض غلمانه ، فأخذ الكتاب وغيّبه .

وما زال عتّاب ينام مرة وينتبه أخرى ، وموسى يعمل ، إلى أن انقضت الهاجرة ، وقد توجه لموسى بعض المال ، وأنفذ أصحابه لقبضه .

فقال له عتاب : أنظر فيما جئنا له .

قال : اصلحك الله فيم جئت ؟

قال : فيما تضمن التوقيع .

قال : وأي توقيع ؟

قال : الذي أوصلته إليك من أمير المؤمنين .

قال : متى ؟ قال : الساعة وضعته على الدواة .

فقال له : لقد نمت نومات ، وأظن أنك رأيت في نومك شيئًا .

فطلب عتاب التوقيع ، فلم يجده ، فقال : سرق والله التوقيع ، يا أصحاب الأخبار اكتبوا .

فقال موسى : يا أصحاب الأخبار اكتبوا ، كذب فيما ادعاه ، ما أوصل إليّ توقيعًا ، وأنتم حاضرون فهل رأيتموه أوصل إلى توقيعًا ؟ قم فانظر لعلك يا أبا محمد ضيّعت التوقيع في طريقك .

فانصرف عتاب إلى عبيد الله بن خاقان وزير المتوكل فأخبره بذلك .

فدخل عبيد الله إلى المتوكل فحدثه فضحك ، وقال : احضروا موسى الساعة .. فحضر .

فقال له المتوكل : يا موسى سرقت التوقيع من عتّاب ؟

قال : أي والله يا سيدي ، ضمنت أن فيه مكروهًا ، ونام عتاب من قبل أن يوصله إليّ .

فأمرت من سرقه ، وقد أعددت نصف المال ، والساعة أحمله إلى صاحب بيت مال الخاصة ، وأحمل الباقي بعد خمسة أيام ، وأتبع ذلك بتضرّع .

فأنفذ المتوكل معه من قبض المال منه ، وانصرف وقد رضي عنه [الفرج : ج/١ ، ص/١٤٢] .

٧٧٧

الأصنام المذكورة في القرآن الكريم

الأستاذ محمد ثناء الله العمري
رئيس القسم الإنجليزي - الكلية الهندوكي مجهلي بندر - آندهرا

لا يخفى على من يقرأ القرآن الكريم ويتدبره أن هذا الكتاب الحكيم قد ذكر أسماء بعض الأصنام التي كانت تعبد في شتى البلاد والأقوام والأوقات ، وذمّ عبادتها ، وأنكر عليها في كثير من آياتها ، معلنًا بأنها شرك جلى صريح ضد التوحيد الذي هو أساس التعاليم التي بعث الله بها رسله وأنبياءه في أنحاء العالم حينما أراد بعثتهم -الله جل جلاله وعم نواله - .

نريد أن نذكر في هذه المقالة الموجزة جميع الأصنام المذكورة في القرآن الكريم - الأعلام منها - لكي يتضح في النظرة الواحدة عددها وعصرها ومن كان يعبدها ويعكف لها .

وفي هذا الصدد نبدأ بسورة نوح - عليه الصلاة والسلام - لأن هذا الرسول من أعاظم الرسل وكبارهم وثانيهم تاريخيًا بعد آدم - عليه الصلاة والسلام - كما ذُكر في القرآن الكريم ، وها نحن ذا نجد هاتين الآيتين في تلك السورة نقرأ فيهما أسماء خمسة أصنام لقوم نوح - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّا ولا سُواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا • وقد أضلوا كثيرًا ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً ﴾ [الآيتان : ٢٢-٢٤] .

يقول الأستاذ عبد الجليل عيسى : روى ابن جرير ان هؤلآء الخمسة ﴿ ودّاً وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا ﴾ كانوا رجالا صالحين في الأمم التي كانت بين آدم ونوح ، ولما ماتوا زين الشيطان لأتباعهم أن يبنوا عليهم

أمكنة للعبادة ويصوروا لهم صورا ليتذكروا بها صلاحهم ، فلما طال الزمن ظن أكثر الناس ان آباءهم كانوا يتقربون إليهم ليقربوهم إلى الله سبحانه وتعالى ، فجعلوهم شفعاء لهم عنده تعالى (١) .

يقول الأستاذ عبد الله يوسف علي - رحمه الله تعالى - في تفسيره الإنجليزي : إن كل واحد من هذه الأصنام ينوب عن تمثال وهذا التمثال يقوم مقام قوة من قوى الحياة الإنسانية أو الحيوانية كما يلي :

صنم	تمثال	قوة
١- ود	الرجل	القوة الرجولية
٢- سواع	المرأة	التغير والجمال
٣- يغوث	الأسد (أو الثور)	القوة الحيوانية
٤- يعوق	الفرس	السرعة
٥- نسر	نسر (صقر)	حدة النظر (٢)

ونُثنّى بعد نوح بإلياس - عليه الصلاة والسلام - ، قال الله تعالى في سورة الصافّات : ﴿ وإنّ إلياس لمن المرسلين • إذ قال لقومه ألا تتّقون • أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين • الله ربكم وربّ آبائكم الأولين ﴾ [الآيات : ١٢٣-١٢٦] .

والبعل في هذه الآيات علم اسم صنم لقوم إلياس من ذهب وبه سمى البلد أيضًا مضافا إلى بك يعني بعلبك كما صرح به صاحب الجلالين وقيل أيضًا بعل بمعنى رب بلغة حمير وازد شنوءة ، يقول الأستاذ عبد الله يوسف علي : إن البعل كان الإله الشمسي (SUN-GOD) تعبد قبل الميلاد كما كانت الفطرة تعبد حين ذاك ، وكائنا ما كان فإن « بعل » هو سادس الأصنام المذكورة هنا .

ونحن الآن نُثلّث بما ورد في سورة النجم : ﴿ أفرأيتم اللات والعزّى •

---

(١) المصحف الميسر : ص/٧٦٩ . (٢) المجلد الثاني من التفسير: ص/١٦١٩.

ومناة الثالثة الأخرى » [الآيتان : ١٩-٢٠] .

ذكر القرآن الحكيم ثلاثة أصنام هنا اللات والعزى ومنات ، هذه الثلاثة أسماء أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تمثل بعض الملائكة وأنها تشفع لهم عند الله سبحانه ، يقول الأستاذ عبد الله : إن اللات كانت في صورة الإنسان والعزى (١) في صورة شجرة مباركة ومنات في صورة حجر أبيض ، جميعها كانت تمثل الله في هيئة المرأة ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا .

وآخر الأصنام - هو عاشرها - هو الذي ذكره الله في سورة النجم نفسها بقوله تعالى : « وأنه هو ربّ الشعرى » [الآية : ٤٩] ، يقول صاحب الجلالين عن الشعرى : « إنه كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد في الجاهلية » ويقول فضيلة الأستاذ عبد الجليل عيسى : « الشعرى نجم ضخم شديد الحرارة يبعد عن الأرض أكثر من بعد الشمس نصف مليون مرة ، ولو كان في موضع الشمس لما بقي على ظهر الأرض حياة ولا ماء ، ولهذا كان يعبده بعض العرب (٢) .

وهنا صنم غير هذه الأصنام وهو العجل ذكره القرآن الكريم في عدة مواضع ، ولكنه ليس بعَلَمٍ مثل هذه الأصنام ، ولذا لا نذكره في هذا المقال ، وهو يستحق معالجة مستقلة ، ونختم هذه المقالة الوجيزة على قول شاعر عربي وما أحسن قوله :

أ رب يبول الثعلبان بـــرأسه لقد ضل من بالت عليه الثعالب

---

(١) يظهر أن المشركين كانوا يفتخرون بالعزى وهبل أكثر من غيرهما من الأصنام إذ كانوا ينشدون في ميدان الحرب : لنا العزى ولا عزى لكم و اعل هبل ، و كان المسلمون يجيبون : الله مولانا ولا مولى لكم و الله أعلى وأجل .

(٢) المصحف الميسر : ص/٧٠٢ .

الربا فتنة في الأرض وفساد كبير

بقلم : سعادة الدكتور عدنان علي رضا النحوي

لقد وقع اضطراب في فهم بعض الآيات البيّنات في كتاب الله لدى بعض الناس ، ولقد وقع الاضطراب الأكبر في ممارستها في الواقع البشريّ ، وربما كان لهذا الاضطراب أسباب كثيرة ، كان من أهمها ما تسلل من الإسرائيليات ، أو بسبب عدم ربط الآيات بما حولها من الآيات أو بالسورة أو بما يتعلق بها من آيات أخرى في كتاب الله أو بأحاديث صحيحة ، أو بسبب ما تسرّب إلينا من أفكار الحضارة المادية ، أو بسبب الضغط الشديد الذي تمارسه هذه الحضارة المادية بإعلامها وسلاحها وجيوشها ومؤسساتها المختلفة .

نأخذ مثلاً على ذلك آيات الربا من سورة البقرة ، الآيات التي تفصل في موضوع الربا فصلاً بينًا بأسلوب ربّاني معجز ، ولكنه في الوقت نفسه ميسّر للذكر ، بيّن المعنى والدلالة .

مع آيات الربا هذه من سورة البقرة ، نعتقد أن معظم الاضطراب وقع في الممارسة في واقعنا المعاصر ، حين جابه المسلمون واقعًا جديدًا مليئًا بالأحداث المتجددة والنظم المتضاربة والأفكار المتصارعة ، زاحفة إلينا من الحضارة المادية الغربية الرأسمالية ، أو الحضارة المادية الملحدة الشيوعية ، أو من الوثنيات المتعددة المنتشرة في الأرض اليوم .

جابه المسلمون هذا الواقع الجديد الزاحف علينا بجيوشه ودباباته

وطيرانه وصواريخه وسلاحه النووي ، وبشركاته ومؤسساته وإدارتها ونظمها ، وبتطوره الفني والعلمي المادي ، وبما يدفع هذا كله من فكر وفلسفة وأدب ، واقتصاد ونظام اجتماعي متحلل فاجر إباحي ، وبالجنس الملتهب والخمور والمخدرات ، واستغلال مخدّر إجرامي في تحريف الدين ، حينًا بخنقه في كنائسهم ، وحينا بإطلاقه في خط منحرف ، وحينًا بتحريف النصوص ، ليحموا بهذا كله مصلحة طبقة جشعة بأطماعها مجرمة في رسائلها ، ممتدة في عدوانها ونشر فسادها ، وخرج من خلال ذلك النظام الاقتصادي العالمي اليوم قويًا سلاحه وعدده ، وتطوره العلمي والفني ونظامه الإداري ، على نهج وخطة مدروسة وأهداف محددة له .

وجابه المسلمون هذا كله بمواقف أقرب إلى الارتجال والعاطفة ، دون نهج واع مدروس ، ودون خطة إيمانية ومراحل عملية ، على تفرّق وشتات واكتفى الكثيرون منهم بالشعارات التي لا تكفي وحدها لمخاطبة العالم ولا لمجابهة عدوانه وغزوه ، ولم تكن محاولات النشاط الاقتصادي جزءًا متماسكًا مع الدعوة الإسلامية التي أمرنا بتبليغها إلى الناس كافة ، ولو أقمنا مؤسسة تحمل الشعار الإسلامي ، فلا تكاد تقوم حتى تبدو كأنها خضعت لنهج أولئك وأساليبهم ونظرياتهم ، مع جملة ما نخضع له من مظاهر حضارتهم المادية .

إننا لم نتقدم بنظام إداري إيماني ، ولا بنظام اقتصادي عملي ، ولا بنظم إيمانية لسائر ميادين الحياة ، حتى كأننا اتبعنا الغرب في الفكر والنهج وغلفنا ذلك بالشعار الإسلامـــــي ، لابد من مراجعة أفكارنا ومناهجنا اليوم ، ولابد من تغييرها بأنفسنا ، وعرض ذلك كله على كتاب الله وسنة رسوله ، لتنطلق منهما نظرياتنا ومناهجنا ، تحملها المواهب

المؤمنة في شتى ميادين الحياة ، نقيّة من الهوى والفتنة ، وخالية مما يتسرب إلينا من أفكار هؤلآء مما يخالف دين الله ..

والربا من أخطر ما حرّم الله سبحانه وتعالى ، وجاء التحريم على أشد صور التحريم حسمًا وفصلاً : ﴿ .. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله .. ﴾ وجاءت الآيات والأحاديث تؤكد هذا التحريم وتحمل اللعنة على كل من شارك في الربا :

فعن عبد الله بن مسعود عن النبي الكريم -ﷺ- : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهده وكاتبه » (١) ، وعن جابر : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه هم فيه سواء » (٢) ، وتوالت الأحاديث تكشف هول الربا وشدة فساده ، ذلك لأن هذه القضية لا تمس مصلحة فرد واحد أو جماعة أو شعب ، ولكنها تهدّد الإنسان حيثما كان ، تهدّد البشرية كلها في جميع العصور والديار .

لقد كان « الربا » واضحًا في أذهان العرب في الجاهلية ، وفي أذهان اليهود الذين نشروا هذا النظام الربوي ، وكذلك في أذهان المسلمين ، ولما انطلقت الدعوة الإسلامية خاض الإسلام معركته على نهج وخطة في ميادين متعدّدة متساندة : الميدان العسكري والسياسي والاقتصادي وغيرها ، لتجتمع هذه الميادين في الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، ولتعهد الناس على ذلك ، وبناء الجيل المؤمن الذي يمضي في

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني رقم/٥٠٨٩ ، وقال رواه أحمد وأبو داؤد والترمذي وابن ماجة .

(٢) المصدر السابق : رقم/٥٠٩٠ ، وقال رواه أحمد ومسلم .

تحمل أعباء الدعوة ، جيلا بعد جيل لا تتوقف صناعة الأجيال التي تتابع المسيرة في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية في الأرض ، في واقع الإنسان .

كان ذلك كله يمضى أيام النبوة الخاتمة على نهج جليّ وخطة إيمانية ربانية ، ومراحل عملية تطبيقية ، ومضت الدعوة تحقق انتصارًا بعد انتصار في جميع الميادين التي خاضتها ، وجاءت آيات الربا في سورة البقرة : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ .... و إن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ [سورة البقرة ، الآيات : ٢٧٦-٢٨٠] ، جاءت هذه الآيات الكريمة لتمثّل ذروة انتصار الإسلام في الميدان الاقتصادي ، ولقد اشتد الأمر على اليهود أثناء هذه المعركة الاقتصادية حتى ضجوا وهم يشعرون بالهزيمة ، وقالوا : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء .. ﴾ [سورة المائدة] .

وعبر الرسول -ﷺ- عن هذا النصر الاقتصادي في حجة الوداع حين قال : « ألا إن كل ربا كان في الجاهلية موضوع عنكم كله ، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأول ربا موضوع هو ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله » [رواه ابن أبي حاتم] (١) .

إن هذا الإعلان النبوي كان حدثًا هائلاً في تاريخ البشرية ، وكان يعني تلك النقلة العظيمة التي نقل الإسلام بها البشرية ، وانهيار النظام الاقتصادي اليهودي الربوي ، وبدء نظام اقتصادي عالمي جديد ، له

---

(١) تفسير ابن كثير لآيات الربا في سورة البقرة .

قواعده المتماسكة المفصّلة في منهاج الله ، القواعد التي أخذت طريقها إلى التنفيذ في واقع الإنسان ، وحجة الوداع ذاتها تمثل ذروة انتصار الإسلام في ميادينه كلها ، واكتمال الرسالة الربانية : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم .. ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٣] .

لقد جابه الإسلام الواقع المختل المضطرب آنذاك ، فعالجه وقدّم البديل لكل واقع يريد تغييره ، قدم النظرية وقاد التطبيق ، ليكون ذلك عامًا للبشرية كلها .

لقد جاء هذا النظام الاقتصادي الإسلامي نظامًا عامًا للبشرية كلها ، ليسود الشعوب والأقطار والأجيال كلها ، جاء هذا النظام يحمل أبعد عمق إنساني ، وأعظم بعد عالمي ، جزءًا لا يتجزّأ من المنهاج الرباني المتكامل المترابط المتناسق .

ولكن هذا البعد العالمي والعمق الإنساني يبهتان إذا أخذ النظام الاقتصادي معزولاً عن منهاج الله ، أو يتعذّر تطبيقه على وجهه الأمثل .

إذن جاء تحريم الربا لمصلحة الإنسان ، مصلحة الناس كافة ، في مختلف العصور والأجيال والشعوب ، لشدة فساده ، وشدة تدميره لحياة الإنسان ، لذلك جاء تحريمه في جميع الأديان السماوية ، فقد بين لنا ذلك كتاب الله وهو يتحدث عن أهل الكتاب : ﴿ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل .. ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٦١] وهذه إشارة إلى فساد النظام الربوي : ﴿ ... وأكلهم أموال الناس بالباطل ... ﴾ إنه فساد عالمي وفتنة كبيرة .

في واقعنا اليوم نظام اقتصادي عالمي يقوم على الربا ، وعلى أكل أموال الناس بالباطل ، يقود هذا النظام علوم وتقنية ، ومؤسسات ونظم

إدارية متطورة ، وجيوش وأسلحة مدمرة ، وإعلام نشط كأنه الطوفان ، إن هذه القوى تعمل ليل نهار لتوفر للمجرمين في الأرض ، كما يسميهم القرآن الكريم ، وسائل نهب الشعوب وإفقارها وإذلالها وتجويعها ، ليعيش هؤلاء المجرمون متخمين ، ويمضي مع هذا النظام الاقتصادي الربوي نظام سياسي عدواني ظالم ، ليعمل هذان النظامان معًا فيدمرّا الحياة البشرية ، منطلقين من الحضارة الغربية وفلسفاتها ومؤسساتها .

لقد تسلل الإنجليز إلى الهند متسترين بالشركات التجارية والحركات التنصيرية ، حتى قضوا على دولة المغول المسلمة وحكموا الهند مباشرة سنة ١٨٥٨م ، وخرج الإنجليز من الهند سنة ١٩٤٧م ، بعد أن تركوها ممزّقة ، وتركوا شعبها فقيرًا على غنى ثروة البلاد ، الثروة التي نقلوها لبلادهم يأكلون بذلك أموال الناس بالباطل ، وكذلك فعل الفرنسيون في شمال إفريقيا و وسطها ، وكذلك فعلت سائر الدول الطاغية ، يسيرون كلهم على نهج عدواني ظالم واحد في السياسة والاقتصاد وفي الفكر والفلسفة وغير ذلك ، ينشرون الجنس المتفلت الملتهب والخمور والمخدرات والزنا واللواط ، وتمزيق الأرحام وروابط الإنسان ، ليكون هذا كله مخدّرًا للناس يلهيهم عن مقارعة الظلم والفساد ويبقيهم في غفوة وخدر وسكر .

سيظل هذا الفساد يمتد ويدمر حياة الإنسان وينشر الحروب والفتنة حتى يأذن الله بظهور نظام اقتصادي رباني يقضي على الاستغلال والاحتكار والربا ، يحمله جنود ربانيون جزءًا متماسكا من منهاج رباني متكامل لا ينفصل عنه ، يدعون الناس إلى الله ورسوله ، إلى دين متكامل ، لا يقطعونه أجزاء كما فعل أهل الكتاب : ﴿ .. الذين جعلوا

القرآن عضين .. ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٩١] ، ولا تراهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض : ﴿ .. أ فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض .. ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٨٥] ، ولا تراهم يؤوّلون آيات الله ولا يلوونها ولا يحرفونها ، ولا يجعلون الكتاب أمانيّ وظنونا : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٧٨] .

لا يستطيع المسلم الفرد أن يجابه واقع هذا النظام الربوي وحده ، وقد عجزت الشعوب ، وتحت تأثير هذا الضغط أخذت تظهر بعض الفتاوى لتحلل الربا أو بعض أجزائه ومؤسساته ، أو تجيز التعامل مع هذه المؤسسات بشروط يضعونها من عند أنفسهم ، وإذا قامت مؤسسات تحت شعار الإسلام فقد تضطر إلى التعامل مع المؤسسات الربوية أو الخضوع لها .

لا مجال في الإسلام لتحليل الربا أو بعض أشكاله أو بعض أنواع التعامل معه ، إن التحريم نصوص ثابته شاملة قاطعة ، ولا مجال للتوفيق بين النظام الإسلامي والنظام الربوي ، وكأنها محاولات تشبة محاولات التوفيق بين الإسلام والشيوعية أو الأديان الأخرى ، ليست مهمتنا محاولة التوفيق ، ولا ليّ الآيات والأحاديث ، إن مسئوليتنا هي الدعوة الواضحة الجلية إلى الإسلام بكل ميادينه ، بكل فكره ومبادئه .

وعندما يتعامل المسلم مع هذه المؤسسات الربوية ، فليس له من عذر شرعي إلا عذر واحد هو الضرورة والاضطرار ، لا لأن شيئًا من ذلك حلال ، والضرورة إما فردية ، أو جماعية ، أو عامة دولية ، كل ذلك يدرس ويقدّر بقدره .

فعن البراء عن الرسول الكريم -ﷺ- قال : « الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل إتيان الرجل أمه ، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه » (١) [رواه الطبراني في الأوسط]

ولقد انتشر اليوم بين الناس وهم أنهم إذا وضعوا مالهم في المؤسسات البنكية في حساب بغير الفائدة ، فهذا حلال ، واءذا وضعه في حساب الفائدة فهذا حرام ، إن هذا التصور خطأ كبير ، فالحرمة واقعة سواء أوضع المال بهذا الحساب أم بذاك ، والإثم واقع ، ومخالفة النصوص واحدة ، ذلك لأنه لا تفريق في هذه المؤسسات الربوية بين حساب وآخر إلا في بعض السجلات ، وأما المال فكله طريقه واحد وعمله واحد واستثماره واحد ، ذلك أن هذه المؤسسات لها نهج واحد قائم على الربا ، لا تفرّق عمليًا بين حساب وحساب ، والفائدة - الربا - حاصلة للمال في هذا السبيل أو ذاك ، والفرق الوحيد بين أسلوب الحسابين هو أنك تقبض الفائدة في حالة ، وتتبرّع بها للمؤسسة في حالة ، ثانية فمن الناحية الشرعية تكون قد تعاملت بالربا بعد أن قام الاتفاق والرضا والقبول ، سواء أقبضت الفائدة أم لم تقبضها .

وقد أفتى بعضهم تحت ضغط هذا الواقع بجواز أخذ الفائدة والتصدّق بها على الفقراء ولن يكون لصاحبها المتصدّق أجر ولا ثواب ، ذلك لأن الفائدة مال غير طيب ، والله لا يقبل إلا طيبا ، أما رأس المال فيبقى طيبًا لصاحبه استنادًا إلى جزء من الآية الكريمة : ﴿ .. فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٧٩] .

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : رقم/٣٥٣٧ .

وفي هذا الرأي خطآن ، الأول : أنه لا يجوز لأحد أن يقول : تصدّق يا فلان بهذا المال على الفقراء وليس لك أجر ، ذلك لأن الذي يعطى الأجر هو الله وحده سبحانه وتعالى ، اختص به ولم يأذن لأحد أن يقرر وقوع الأجـر من عدمه ، وأقصى ما يمكن لأحد أن يفتي فيه : تصدّق أو لا تتصدق .

والثاني : هو أنه إذا كانت الفائدة خبيثة غير طيبة فرأس المال كذلك خبيث غير طيب ، لأن الله سبحانه وتعالى اشترط لحل أخذ رأس المال تـوقف الربا والتوبة إلى الله والامتناع عن التعامل ، فالآية الكـريمة تنصّ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين • فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ [سورة البقرة ، الآيات : ٧٨-٧٩] فجاء الشرط هنا صريحًا واضحًا : ﴿ فإن تبتم .. ﴾ أما إذا لم تقع التوبة ولم يتوقف رأس المال عن التعامل مع الربا ، فرأس المال والفائـدة مختلطان ماضيان معا في نهج واحد وعمل واحد في الربا ، ولم يحلّ الله رأس المال إلا إذا توقف عن الربا بفضل منه ورحمة .

فليس أمام المسلمين مجال في واقعهم اليوم إلا أن تكون هناك ضرورة ، ليتحمل المسلم أو الجماعة أو الأمة مسئوليتها بين يدى الله ، لتكون بابا للتعامل مع هذه المؤسسات الربوية .

لابد أن يعي المسلمون حقيقة هذه القضية وشدة خطورتها حتى يستيقظ المسلمون وينهضوا من سباتهم العميق ، إن الفتاوى السابقة أوحت للكثيرين أن التعامل مع هذه المؤسسات الربوية أصبح حلالاً بتلك الشروط التي وردت في الفتاوى كأن تضع مالك في حساب غير الفائدة ، أو أن تقبض الفائدة وتتصدق بها دون أن يكون لك أجر ، فاسترخت همم

كثيرة ورضيت بهذا النظام المالي ، ولم تنهض مواهب الأمة المؤمنة لتقدّم للعالم نظامًا اقتصاديًا ربانيًا لا يتعامل بالربا ويلبّي حاجات الواقع اليوم ومعاملاته المالية المعقدة ، استرخت العزائم والمواهب ورضيت واستسلمت ، ولم يكن هذا الحال في الاقتصاد وحده ، ولكن الهزيمة امتدت إلى ميادين شتى .

إنها إحدى مشكلات الدعوة الإسلامية و واقع المسلمين ، لا تحل المشكلة بالآراء المسكّنة ولا بالارتجال ولا بالاستخذاء والرضى ، مهما ادلهم الواقع فإنه لا يحل حراما ولكن الضرورة قد تكون بابًا لمغفرة الله وعفوه ، شريطة أن لا تستمر الغفوة وأن تنهض الهمم لمسئولياتها الحقيقية .

ولا يمكن للمسلمين أن يضعوا الحل السليم لهذه المشكلة وتقديم البديل مجزوءًا مفصولاً عن رسالة الإسلام ، ولو حاول ذلك لأصابه الفشل ، ولا يمكن أن يظهر الحل الأمثل البديل إلا إذا قامت الأمة المسلمة الواحدة صفًا كالبنيان المرصوص ، لا تفتك بها المنازعات والشقاق .

فلابد للمسلمين اليوم من مراجعة أنفسهم ومحاسبتها ، ومراجعة المسيرة وإجراء تقويم وتحديد الأخطاء ، ثم التوبة إلى الله توبة نصوحًا :

﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحًا .. ﴾

﴿ .. وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [سورة النور]

لابد أن يلتقي المؤمنون على قواعد ربّانية تجمع الجهود لتنطلق مسيرة الإسلام قوية صافية مستكملة لنهجها ومراحلها وأهدافها ، ولتنطلق الحلول لمشكلات واقعنا اليوم من منهاج الله ملبّية لحاجات الواقع المتجدد عن إيمان وتوحيد ، وعلم صاف صادق بمنهاج الله ، وخبرة نامية في العلوم العصرية لنستكمل العدة على درب ماضٍ إلى الجنة .

٧ ٧ ٧

الزكاة و أهميتها في الإسلام

[الحلقة الثانية]

فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي
أستاذ بدار العلوم ندوة العلماء

وجوه الاستدلال في مسألة التمليك :

إن الأدلة المستفادة من الكتاب والسنة التي تمسك بها الجمهور من فقهاء الإسلام تأييدًا لوجهة نظرهم نحو إيجاب التمليك في أداء الزكاة قد تحدثنا عنها إجمالا وإسهابا في مقالات العلماء الأجلاء في كتابنا الذي صدر حول الزكاة ونصاب الأموال التي يجب فيها الزكاة ، فلا حاجة إلى أن أفصل الحديث عن الأدلة على التمليك و وجوبه في هذه العجالة إلا أنني رأيت من المناسب أن أتناول بالبيان والإيضاح بعض الوجوه والجوانب التي تتعلق بمسألة التمليك .

وجه الاستدلال على التمليك بنصوص الكتاب :

إن القرآن الكريم قد استعمل كلمة « الإيتاء » في معظم الآيات الواردة في الأمر بأداء الزكاة والصدقات الواجبة ، فقد ورد في عدة آي من الذكر الحكيم قوله تعالى : ﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ والإيتاء مرادف للإعطاء ويتكون معناهما من ثلاثة عناصر :

١ - المُعطِي . ٢ - المُعطَى له . ٣ - المُعطى .

ويمكن أن نعبر عن ذلك اصطلاحًا بأن الفعل من الإيتاء والإعطاء يتعدى إلى مفعولين فيقتضى فاعلا ومفعولين .

وقد استدل جمهور الفقهاء على وجوب التمليك بكلمة « الإيتاء » إلى جانب الأدلة الأخرى ، ويلزمنا حتى نتمكن من فهم وجه استدلالهم أن نستعرض المواطن التي وردت فيها هذه الكلمة . قال الإمام الراغب الأصفهاني : « والإيتاء الإعطاء وخص وضع الصدقة في القرآن بالإيتاء ». والأخذ والإيتاء من البديهيات التي عرفها الإنسان من مبدأ خلقه وجرى بها التعامل في حياته عبر العصور حتى فيما قبل نزول الوحي والنبوة وإلمامه بمختلف العلوم والفنون ، والظاهر في العرف وعند أهل اللغة أن الإيتاء إذا تعلق بعين أو شئ مادي يصلح للملك فيراد به التمليك إلا أن تكون هناك قرينة ظاهرة تدل على غيره .

وقد دلت نصوص الكتاب العزيز على هذا المعنى بما وردت هذه الكلمة في أكثر من آية واحدة ، ونذكر هنا بعض مواضع استعمالها في كتاب الله سبحانه :

قال الله تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين • فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴾ [سورة التوبة ، الآيتان : ٧٥-٧٦] .

﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٥٠] .

﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهنّ قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا • أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٢٠] .

﴿ الطلاق مرتان • فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان • ولا يحل لكم

أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٩] .

﴿ وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة ، فإن طبن لكم عن شئ منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٤] .

﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ [سورة النور ، الآية : ٣٣] .

﴿ فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ [سورة النمل ، الآية : ٣٦] .

إذا تأملنا هذه الآيات ونظرنا فيها لوجدناها باختلاف أفعالها وصيغها تدل على معنى التمليك ، وقد يكون أن تتعلق كلمة الإيتاء بشئ مادي يصلح للملك ولا يراد منها التمليك لوجود قرينة صارفة عن ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٥] .

ففي هذه الآية وإن تعلق الإيتاء بمال يصلح للملك إلا أن هناك قرينة واضحة تدل على غير التمليك وهو جعله في تصرفه وتسليمه له ، وذلك أن الآية تتحدث عن المال الذي هو ملك للسفهاء إلا أنه وضع في أيدي أوليائهم بدل تسليمه لهم لسفاهتهم ونقصانهم عقلا .

وكذلك إذا نسبت كلمة الإيتاء إلى ما ليس بعين أو ما لا يصلح للملك كوحي الله والهداية والتقوى والنور وما إلى ذلك ، فلا يراد من الإيتاء عندئذ التمليك ، لأنها من المعنويات ولا متسع فيها للتمليك .

تبين من هذا الشرح والتفصيل أن كلمة الإيتاء المضافة إلى الزكاة في هذه الآيات الكريمة تتضمن معنى التمليك لما أن مال الزكاة من الماديات التي تصلح للتملك ومعنى أداء الزكاة هو أن يزيل الإنسان ملكه وقبضته عن جزء من ماله ويجعله في ملك من أمر الله بدفعه إليهم ، وبأداء الزكاة يزول ملك من يخرجها عنها ويثبت عليها ملك من استحقها إذا دفعت له .

أما زوال ملك المزكى عن مال الزكاة فأمر بديهي ومجمع عليه ، ولكنه عسى أن يقول قائل : إنه ليس من الواجب أن ينتقل مال الزكاة إلى ملك الفقراء والمساكين أو من يستحقونه بل من الممكن أن يبقى في ملك الله ويتمتع بمنافعه هؤلآء المستحقون ، فنقول : ما هو الفارق إذًا بين الوقف والزكاة ؟ إذ الفارق بينهما أن مال الوقف لا ينتقل إلى ملك الموقوف عليهم ومال الزكاة ينتقل إلى مستحقه ويصبح ملكا له .

وجه الاستدلال بحديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - :

وينجلى أمر التمليك وينكشف عند ما نستقرئ حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عند ما بعثه رسول الله -ﷺ- إلى اليمن ، قال له : « إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » (١) .

وجه الاستدلال بهذا الحديث هو أن المراد من الصدقة « الواجبة »

---

(١) قد سبقت الإحالة إلى مراجعه في الحلقة الأولى بنصه .

الواردة فيه هو الزكاة ، وأنها تؤخذ من أغنياء المسلمين فترد على فقرائهم ، و « الأخذ » و « الرد » من الكلمات المتحاذية المتصادفة معنى فلا يكون الرد إلا لما يؤخذ كما يستفاد ذلك بنص الحديث ومعلوم بالضرورة أن الدولة الإسلامية تأخذ من الأغنياء ملك أموال الزكاة إلى منافعها ، فلا ترد على الفقراء مجرد منافعها وإنما ملكها كذلك ، أي يملّك الفقراء هذه الأموال ملكًا تامًا وهذا ما اصطلح عليه الفقهاء وأكدوا عليه استدلالاً باقتضاء الكتاب والسنة وليس من اختراع فقهاء الإسلام وعلماء المذاهب .

و واجب الأخذ والرد في مال الزكاة من مسئوليات الدولة الإسلامية ، وإذا لم توجد دولة إسلامية جاز القيام به لأرباب الحل والعقد من المسلمين ، وتكون الدولة الإسلامية بمثابة الوسيط في هذا العمل ولا يسمح لها بالسيطرة على مال الزكاة وإبقاء الملك عليه وصرفه في مصالح الفقراء والمساكين بدون تمليكهم منه ، لأنها إذًا لم ترد على الفقراء ما أخذته من الأغنياء .

طريقة الأخذ والرد في عهد الرسالة وعصر الصحابة :

كانت الطريقة المتبعة والسائدة من عهد الرسول -ﷺ- إلى القرون الأخيرة دفع أموال الزكاة إلى الفقراء والمساكين والذين يستحقونها ، و وضعها في ملكهم من دون قيد أو شرط ، ويعوز التاريخ الإسلامي أن يأتي بمثال على خلافها ، حيث وضعت هذه الأموال في مشروع خيري أو مخطط استثماري يتمتع الفقراء بمنافعها بدل توزيعها عليهم وتمليكهم منها وكانت هذه العصور ولا شك حافلة بكثير من الأعمال الخيرية والأنشطة الترفيهية والحركات الإصلاحية .

ويفيد ما سجلته كتب الحديث والتاريخ فيما يتعلق بالأخذ والرد بالنسبة لمال الزكاة في عهد الرسول -ﷺ- وعصر الخلفاء الراشدين ، أن جباة الدولة لمال الزكاة في مختلف القرى والمناطق كانوا يوزعون زكاتها على فقرائها ، وإذا لم يوجد فيها من يستحقها ينقلونها إلى غيرها ويوزعونها على فقرائها ، وقد سرد الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى ٢٢٤هـ) آثارا كثيرة في ذلك نسوق منها بعضها ملخصا .

« إن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - لم يزل بالجند إذ بعثه رسول الله -ﷺ- إلى اليمن حتى مات النبي الكريم -ﷺ- وأبو بكر ، ثم قدم على عمر فرده على ما كان عليه ، فبعث إليه معاذ بثلث صدقة الناس ، فأنكر ذلك عمر ، وقال : لم أبعثك جابيًا ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم ، فقال معاذ : ما بعثت إليك بشئ وأنا أجد أحدا يأخذه مني ، فلما كان العام الثاني بعث إليه شطر الصدقة ، فتراجعا بمثل ذلك ، فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها ، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ، فقال معاذ : ما وجدت أحدًا يأخذ مني شيئًا ».

قال سعد - وكان عاملا على الصدقة من عمر رضي الله عنه - « كنا نخرج لنأخذ الصدقة ، فما نرجع إلا بسياطنا » .

« عن سعيد بن المسيب أن عمر بعث معاذًا ساعيًا على بني كلاب أو على بني سعد بن ذبيان ، فقسم فيهم حتى لم يدع شيئًا حتى جاء مجلسه الذي خرج به على رقبته ، فقالت إمرائه : أين ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة أهليهم ، فقال : كان معي ضاغط ، فقالت : قد كنت أمينًا عند رسول الله -ﷺ- وعند أبي بكر ، أفبعث عمر معك ضاغطًا ، فقامت بذلك

في نسائها واشتكت عمر ، فبلغ ذلك عمر ، فدعا معاذًا ، فقال : أنا بعثت معك ضاغطًا ، فقال : لم أجد شيئًا أعتذر به إليها إلا ذلك ، قال : فضحك عمر وأعطاه شيئًا ، وقال : أرضها به » .

« استعمل محمد بن يوسف طاؤسًا عن مخلاف ، فكان يأخذ الصدقة من الأغنياء فيضعها في الفقراء ، فلما فرغ ، قال له : افع حسابك ، فقال : مالي حساب ، كنت أخذ من الغنى فأعطيه المسكين » .

« عن عمر أنه قال : أوصى الخليفة من بعدي بكذا ... وأوصيه بالأعراب خيرًا ، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يأخذ من حواشي أموالهم فيرد في فقرائهم » (١) .

وقد روى الإمام الترمذي في جامعه عن أبي جحيفة قوله : « قدم علينا مصدق النبي -ﷺ- ، فأخذ الصدقة من أغنيائنا فجعلها في فقرائنا ، وكنت غلامًا يتيمًا فأعطاني منها قلوصًا » (٢) .

وحتى إن المنكرين لوجوب التمليك يسلمون أن الفقراء ومن يستحقون الزكاة كانوا يُملّكون من أموالها ولم تتخذ أي طريقة لأدائها سوى التمليك في خير القرون وما تلاها من العصور ، فاستمرار العمل بتمليك الفقراء من مال الزكاة في كل عهد من التاريخ الإسلامي ليس مجرد اتفاق .

---

(١) يرجع في ذلك إلى كتاب الأموال : ص/٥٨٨-٥٩٠ ، طبع دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) جامع الترمذي ، أبواب الزكاة ، باب ما جاء أن الصدقة تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء .

وإنما ذلك دليل على أن الأمة الإسلامية بكل ما فيها من الفرق والطبقات المختلفة تعتقد عن وعي أو بدونه أن الطريقة الوحيدة لأداء الزكاة هي تمليك أهلها منها لا غير .

نبوءات الرسول -ﷺ- : وما تنبا الرسول -ﷺ- به من الأخبار والوقائع المستقبلية وحتى تقوم الساعة لا يدل شئ منها ولا بإشارة خفية على أداء الزكاة بدون تمليك ، بل هناك طائفة من الأحاديث تدل دلالة واضحة على عكسه ، وهو أنه لا سبيل لأداء الزكاة إلا إخراج الغنى مال زكاته من الذمة بتمليك أهله منه ، قال رسول الله -ﷺ- : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه » (١) وروى الحارث بن وهب عن رسول الله -ﷺ- **قوله :** « تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أعطيها لو جئتنا بها بالأمس قبلتها ، فأما الآن فلا حاجة لي بها ، فلا يجد من يقبلها (٢) .

وقد جاءت نبوءاته -ﷺ- مصدرًا ثرًا يحمل في طياته كثيرًا من أسباب الهداية والتوجيه ويشير إلى ما يكون شرعة ومنهاجا للأمة في الظروف القادمة والملابسات الطارئة في حياتها ، وعلى ذلك فلو كان تمليك الفقير من الزكاة موقفًا مؤقتًا في عصر الرسول -ﷺ- ولم يكن بمثابة الركن أو الشرط لأشار رسول الله -ﷺ- إلى ذلك ، وبين ما يرفع عنهم وجوب

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى في صحيح البخاري ومسلم ، فليرجع إلى صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة قبل الرد ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، كل نوع من المعروف صدقة .

التمليك في أدائها لئلا يتسكعوا في البحث عن الفقراء والمساكين وإنما يكفيهم توديعها في مشاريع الخير وأعمال البر .

وجهة نظر الشيخ شاه ولي الله الدهلوي :

يعد الشيخ ولي الله الدهلوي المتوفى عام ١١٧٦هـ من أعلام المفكرين في الإسلام ويمتاز شخصيته بدقة النظر وبعد الغور في معرفة أسرار الأحكام الشرعية ورموزها وحكمها ، ويحتل مؤلفه الشهير « حجة الله البالغة » مكانة مرموقة من بين الدراسات الإسلامية ، قال فيه بحثًا عن موارد الدولة الإسلامية ومواطن صرفها : « والبلاد الخاصة بالمسلمين عمدة ما يتخلص فيها من المال نوعان بإزاء نوعين من المصرف ، نوع هو المال الذي زالت عنه يد مالكه كتركة الميت لا وارث له ، وضوال من البهائم لا مالك لها ... ونوع هو صدقات المسلمين جمعت في بيت المال ، ومن حقه أن يصرف إلى ما فيه تمليك لأحد ، وفي ذلك قوله تعالى : ﴿ إنما لصدقات للفقراء والمساكين » (١) .

تحقيق الإمام أبي عبيد قاسم بن سلام في مسألة التمليك :

إن « كتاب الأموال » للإمام أبي عبيد قاسم بن سلام - رحمه الله - المتوفى عام ٢٤٤هـ المعاصر للإمام الشافعي - رحمه الله - درة يتيمة في نظام الأموال الإسلامي ، وقد بحث المؤلف في هذا الكتاب فيما لو كان المدين مستحقًا للزكاة هل يجوز للدائن أن يحتسب دينه من مال الزكاة الواجب أداؤه عليه بدل أن يدفع إليه أولا ما وجب وبالتالي يتقاضى منه

---

(١) حجة الله البالغة : ج/٢ ، ص/٤٥ .

الدين ، وذكر نقلاً عن فقهاء الإسلام أن ذلك لا يجوز ، وبين عدة أوجه لعدم جوازه ، فقال : « أما إحداها فإن سنة رسول الله -ﷺ- في الصدقة كانت على خلاف هذا الفعل ، لأنه إنما كان يأخذها من أعيان المال عن ظهر أيدي الأغنياء ثم يردها في الفقراء ، وكذلك كانت الخلفاء بعده ، ولم يأتنا عن أحد منهم أنه أذن لأحد في احتساب دين من زكاة ، وقد علمنا أن الناس قد كانوا يدانون في دهرهم » (١) .

ولا شك أن احتساب دين من الزكاة قد عاد في صالح المدين الفقير والزكاة قد صرفت في غنائه ، ولكن فقهاء الإسلام لم يعتبروه مجزئًا لأداء الزكاة بل اشترطوا فيه التمليك وتسليم مالها لمن يستحقها كما كان في عهد الرسالة على صاحبها الصلاة والسلام وفي عصر الخلافة الراشدة .

قال الحافظ ابن رجب من علماء الحنابلة المتوفى عام ٧٩٥هـ يبين الفرق بين الزكاة والفيئ : « وأيضًا فالزكاة يعتبر فيها تمليك المستحق ، ولا يجوز صرفها إلى من لا يملك بخلاف مال الفيئ ، فإنه يصرف في المصالح العامة ، كسد البثوق ، وكرى الأنهار وعمارة القناطر » (٢) .

خلاصة البحث :

قد تبين مما سبق أن وجهة نظر الفقهاء في الإسلام قديمًا وحديثًا حول الزكاة هي وجوب تمليك الفقراء والمساكين من القدر المعين أداؤه فيها ، كما اتضحت حكمة شرط التمليك وبعض أدلته ، والحق أن الإسلام قد أراد

---

(١) كتاب الأموال : ص/٤٤١ .

(٢) الاستخراج لأحكام الخراج : ص/١١٨ .

من مشروعية الزكاة أن يعالج مشكلة الفقر والإملاق وأن يهيئ للطبقات الكادحة التي تعيش الشقاء والحرمان في المجتمع ما يسعدهم بتوفير ضرورات الحياة وسد حاجاتها ، وذلك أن الفقر والإفلاس قد يؤدى بالإنسان إلى ما يتخلى فيه عن عرضه بل وإيمانه ودينه ، وعلى الرغم مما قطع العصر الحاضر من أشواط بعيدة في العلم والصناعة ، فإن معظم دول العالم تعاني من هذه المشكلة العصيبة ، وأكبر شطر من سكان الدول المتخلفة والنامية عمومًا والدول الإسلامية بصورة خاصة يعيش ما هو أدنى بكثير من خط الفقر والاعترار ، والدولة المسلمة في قارة أفريقيا تواجه أزمة غذائية وجدبًا عامًا ، إن هذه الظروف القاسية قد منحت للتبشيرات المسيحية فـــرصة ذهبية للتلاعب والعبث بدين الفقراء والمساكين من المسلمين ولإخراجهم من نور الإسلام إلى ظلمات النصرانية الضالة ، والذين وقعوا فريسة الفقر والجوع والنكبات من المسلمين يصبحون في هذه الأيام لقمة سائغة لحركات الإلحاد ونظرات الشرك والقوى المعادية للإسلام .

وهذه الأوضاع السائدة تحتم على المسلمين أن يعملوا على إقامة نظام عادل للزكاة وفق التعاليم الإسلامية حتى يتمكنوا من مد يد العون والمساعدة إلى الطبقات الفقيرة من المجتمع الإسلامي وإنقاذهم من التدنى الاقتصادي الذي يجاوز خط العوز والإعدام ، ورفع مستواهم من الحضيض الأسفل ، وتوفير أسباب الحياة ومرافقها للمحرومين من ضروراتها وحاجاتها ، ولا شك أن التفاوت الاقتصادي يسود حتى في مجتمعات الدول الإسلامية لأجل غياب التنفيذ للنظام الإسلامي في

تقسيم المال وتوزيع الثروة ، وأنتج ذلك أن تتحول طبقة غنية منها أغنى وطبقة فقيرة منها أفقر بسرعة غريبة ، وما هذه القرحة المزمنة من الفقر المدقع لتعاني منها البلاد التي تأتي في قائمة الدول المتخلفة أو الفقيرة فحسب بل وقد منيت بها حتى الدول الغنية ، حينما كانت الدول الإسلامية ومجتمعاتها المسلمة تستطيع أن تنقذ سكانها المسلمين والجاليات الأخرى من مضار الفقر والاحتياج وما يترتب عليهما من الآثار الخطيرة ، وذلك عن طريق النظام الإسلامي للزكاة وبتطبيعة الكامل وتنفيذه الصحيح في حياة الناس .

وإن شرط التمليك لصحة أداء الزكاة ليجعل صرفها على الطبقة الفقيرة من المجتمع الإسلامي وانتفاعها بها انتفاعا كاملاً من الواقعية بمكان ، وكذلك يحد هذا الشرط أن تصل المبالغ الخطيرة إلى تحكم الأغنياء وسيطرتهم بحجة توفير الخير والرخاء للفقراء والمساكين ، وعند انتفاء هذا الشرط من الزكاة وتعميم معنى المصرف السابع « في سبيل الله » يلزم حتمًا أن تبقى الطبقات الفقيرة محرومة من منافع الزكاة لانصرافها في أعمال الخير والبر والنشاطات الدينية الأخرى ، ويقع البؤساء في مستنقعات الفقر وأوحال الذل حتى تبيع كل ما لديها من رخيص وغال وعز وكرامة وحتى لا تبالي بدينها وعقيدتها كما ورد في الحديث « كاد الفقر أن يكون كفرًا » وإذًا لا تتحقق تلك الغاية العظمى التي شرعت من أجلها الزكاة ، ولا تتجلى الحكمة البالغة التي يبتنى عليها هذا الحكم الإلهي ، كما يكون بذلك مساس بروح التشريع لحكم الزكاة بأسوأ معانيه .

دراسات في السنة :

الحديث الضعيف وحكم العمل به

وينتظم هذا البحث مبحثين

بقلم : الدكتور عمر يوسف حمزة
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

المبحث الأول : تعريف الحديث الضعيف وأنواعه :

حيث نذكر الشرائط التي اشترطها العلماء لكل من الحديث الصحيح والحديث الحسن ، ندرك أن ما لم يستوف تلك الشرائط فهو الحديث الضعيف ، وذلك قول الإمام النووي - رحمه الله تعالى - : « الضعيف هو ما لم يجمع صفة الصحيح أو الحسن » (١) ، وقد تتبع في ذلك صاحب : « علوم الحديث » الذي قال في بيان ذلك : « كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن » (٢) .

وعرفه ابن دقيق العيد (٣) بأنه : « هو ما نقص عن درجة الحسن » وهذا هو التعريف المختار ، لأن ما لم تجتمع فيه صفات الحسن فهو من الصحيح أبعد (٤) ولأنه لو اختلت بعض صفات الصحيح كخفة الضبط مثلا لا يكون ضعيفًا وإنما يكون حسنًا (٥) ، والأولى من ذلك أن يقال في تعريفه : هو ما لم تتوافر فيه صفات القبول (٦) .

تنوع الحديث الضعيف : وأنواعه كثيرة أوصلها ابن حيان إلى تسعة وأربعين نوعًا ، وبلغ بها العراقي إلى اثنين وأربعين وبلغ بها غيرهما إلى ثلاثة وستين نوعًا ، وزاد آخرون على هذا العدد (٧) حيث أوصلها بعضهم إلى تسعة وعشرين ومائة ، باعتبار التقسيم العقلي ، وإلى واحد

وثمانين ، باعتبار إمكان الوجود وإن لم يتحقق وقوعها .

وهذا السير وراء التقسيمات العقلية البحتة دون أن يكون لنوع الحديث وجود في عالم الواقع عند أهل الحديث ، مما قال الحافظ ابن حجر : « إن ذلك تعب ليس وراءه أرب » (٨) .

ولسنا في حاجة لتعداد أنواع الحديث الضعيف لأنها مذكورة بالتفصيل في كتب الحديث ، وهذه الأنواع متفاوتة الضعف ويمكن حصر ذلك التفاوت في ثلاثة أقسام :

الأول : الموضوع وهو أشر أنواع الضعيف ، وما قيل في إسناده كذاب أو وضّاع .

الثاني : أخف من سابقه قليلاً ، لكنه شديد الضعف ، وهو ما قيل فيه متهم أو مجمع على تركه أو ضعفه أو ذاهب الحديث أو هالك أو منكر أو ساقط أو ليس بشئ أو ضعيف جدًا .

الثالث : الضعيف الذي ينجبر بمثله ، وهو ما كان في سنده سيئ الحفظ أو له أوهام أو يهم ، أو مدلس معنعن أو مختلط أو ما قيل فيها ضعيف فقط أو لم أر فيه توثيقًا ونحو ذلك .

ويفيد هذا التقسيم في معرفة ما ينجبر وما لا ينجبر ، فالقسم الأول والثاني لا ينجبران بالمتابعة ، ولا ينتفعان بالشواهد إلا ما قيل في قرب ضعفه كما بينه علماء المصطلح (٩) .

المبحث الثاني : العمل بالحديث الضعيف :

ذكر العلماء أن الأحاديث التي يحتج بها هي الأحاديث المقبولة والأحاديث المقبولة أربعة أقسام :

الأول : متواتر لفظًا ومعنى .

والثاني : أخبار متواترة معنى ، وإن لم تتواتر لفظا .

والثالث : أخبار مستفيضة متلقاه بالقبول بين الأمة .

والرابع : أخبار آحاد مروية بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط عن مثله ، حتى تنتهي إلى رسول الله -ﷺ- .

وما عدا ذلك فهو الحديث الضعيف وتتفاوت درجته في الضعف بحسب بعده عن شروط فصّلها علماء المصطلح في كتبهم (١٠) .

بالنسبة للعمل بالحديث الضعيف فقد اختلفت فيه آراء العلماء وتعددت فيه المذاهب ، وكان ذلك تبعا لوجوب التحري في نسبة حديث ما إلى رسول الله -ﷺ- ، ثم للإلزام الذي يحمله النص المنسوب إليه -ﷺ- ، والساحة التي يمكن أن يكون العمل بالحديث الضعيف فيها .

ثلاثة مذاهب : المذهب الأول : أنه لا يعمل به مطلقًا ، لا في الأحكام ، ولا في الفضائل ، حكاه ابن سيد الناس (١١) عن يحيى بن معين ونسب إلى أبي بكر بن العربي (١٢) ، وبه قال كثير من أهل العلم .

والظاهر أنه مذهب البخاري الذي أكثر من التدقيق في شرائط قبول الحديث ، ومذهب مسلم الذي شنّع في مقدمة (صحيحه) على رواة الأحاديث الضعيفة والمنكرة ، وتركهم الأخبار الصحيحة (١٣) .

وذلك ما جنح إليه أبو شامة المقدسي كبير الشافعية في زمنه وهو مذهب الإمام ابن حزم الذي أفصح عن ذلك بقوله : « ما نقله أهل المشرق والمغرب ، أو كافة عن كافة ، أو ثقة عن ثقة ، حتى يبلغ إلى النبي -ﷺ- إلا أن في الطريق رجلا مجروحا : بكذب أو غفلة أو مجهول الحال فهذا يقول به بعض المسلمين ، ولا يحل عندنا القول به ، ولا تصديقه ولا الأخذ بشئ منه (١٤) .

المذهب الثاني : إنه يعمل به مطلقًا ، إذا لم يوجد في الباب غيره ، ولم يوجد ما يدفعه ، ولم يشتد ضعفه ، لأن شديد الضعف متفق على عدم العمل به روى ذلك عن أحمد وأبي داؤد وغيرهما (١٥) .

قال الحافظ : وقد روينا من طريق عبد الله بن أحمد بالإسناد الصحيح إليه قال : سمعت أبي يقول : لا تكاد ترى أحدًا ينظر في الرأي إلا وفي قلبه دغل ، والحديث الضعيف أحب إلى من الرأي .

قال : وسألته عن الرجل يكون ببلد لا يوجد فيها إلا صاحب حديث لا يدري صحيحه من سقيمه وصاحب الرأي فمن يسأل ؟ قال : يسأل صاحب الحديث ولا يسأل صاحب الرأي (١٦) .

و كان يقول يعمل بالضعيف إذا لم يوجد غيره ، و لم يكن ما يعارضه (١٧) .

وفي رواية عنه ضعيف الحديث أحب إلي من رأي الرجال (١٨) .

ونحو ما حكي عن أحمد قال الإمام الشافعي أن المرسل يحتج به إذا لم يوجد دلالة سواه حكاه الماوردي عنه في الجديد (١٩) .

هذا ، وقد نقل تقديم الحديث الضعيف -إذا لم يوجد غيره في الباب - على القياس : عن أبي حنيفة والشافعي ومالك إذ وافقوا أحمد بن حنبل على ذلك في الجملة : فقد قدم أبو حنيفة - كما يقول ابن القيم - حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس وأجمع أهل الحديث على ضعفه ، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر على القياس ، وأكثر أهل الحديث يضعفه ، وقدم الشافعي خبر جواز الصلاة بمكة وقت النهي ، مع ضعفه ومخالفته لقياس غيرها من البلاد ، وقدم في أحد قوليه حديث « من قاء أو رعف فليتوضأ وليبن عن صلاته » على القياس ، مع ضعف الخبر

وإرساله ، قال ابن القيم (٢٠) : « وأما مالك : فإنه يقدم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابي على القياس ، فإذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نص ولا قول الصحابة أو واحد منهم ، ولا أثر مرسل ضعيف عدل إلى الأصل الخامس - وهو القياس - فاستعمله للضرورة .

ونقل أبو عبد الله بن منده عن أبي داؤد - صاحب السنن - أنه يخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره وأنه أقوى عنده من رأي الرجال (٢١) .

قال الشاطبي : فكلام أحمد ومن وافقه دال على أن العمل بالحديث الضعيف يقدم على القياس المعمول به عند جمهور المسلمين بل هو إجماع السلف - رضي الله عنهم - (٢٢) .

وقال السيوطي : ويعمل به أيضًا في الأحكام إذا كان فيه احتياط (٢٣).

وذكر ابن حزم أن جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس (٢٤) .

وقال ابن القيم يؤخذ بالحديث المرسل والضعيف إذا لم يكن في الباب شئ يدفعه وهو الذي قدمه الإمام أحمد على القياس ، وقال : وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا ما في روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به ، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف بل إلى صحيح وضعيف ، وللضعيف عنده مراتب فإذا لم يجد في الباب أثر يدفعه ولا قول صاحب ولا إجماع على خلافه كان العمل به عنده أولى من القياس ، وليس أحد من الأئمة إلا وهو وافقه على هذا الأصل من حيث الجملة فإنه ما منهم أحد إلا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس (٢٥) .

المذهب الثالث : إنه يعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والمواعظ والقصص ، والترغيب والترهيب وما نحو ذلك ، مع التساهل في إسناده وروايته من غير بيان ضعفه ، أما إذا كان في العقائد : كصفات الله -عزوجل- وما يجوز عليه وما يستحيل ، أو كان في الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وغيرهما ، فإنه لا يعمل به ولا يجوز التساهل في إسناده ، و روايته من غير بيان ضعفه ، وهو المذهب المعتمد عند المحققين بشروط :

١- أن يكون ضعفه غير شديد فيخرج ما اشتد ضعفه كحديث الكذابين والمهتمين بالكذب و من فحش غلطه و هذا الشرط متفق عليـــه نقله العلائي (٢٦).

٢- أن يكون الحديث في الفضائل وما في معناها .

٣- أن يندرج تحت أصل معمول به .

٤- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط لئلا يُنسب إلى النبي -ﷺ- ما لم يقله ، وهذان الشرطان الأخيران ذكرهما المحققان العز بن عبد السلام وابن دقيق العيد (٢٧).

وهذه الشروط التي اشترطوها ، وقيدوا العمل بالحديث الضعيف بها على تحققها وسلامتها من المآخذ لا تقوى على جعل الحديث الضعيف مصدرًا لإثبات حكم شرعي ، أو فضيلة خلقية أو غير ذلك .

والنفس لا تطمئن عند العمل إلا بالحديث الذي ثبتت صحته ، لا بما لم يكن كذلك ، ولا يمكن أن نتصور أن شيئًا من الفضائل والمستحبات والترغيب والترهيب حصلت الغفلة عنه حتى لا يقدر له الوصول إلينا من طريق صحيح أو حسن لذاته أو لغيره الذي هو أدنى درجات القبول .

ويتفرد بروايته ضعيف لا يعتمد على روايته إذا تفرد مع الجهود التي بذلها خيار هذه الأمة تجاه السنة المطهرة تحملا وأداء وجمعًا وتدوينًا وتمحيصًا حتى ميز الصحيح من السقيم .

هذا مع عدم سلامة الشروط من المآخذ التي ذكرها العلماء ولا أريد سردها خشية الإطالة (٢٨) .

---

(١) راجع : «التقريب : ص/١٠٥ مع التدريب » ولمحات في أصول الحديث : ١٩٢.

(٢) راجع : « علوم الحديث » لابن صلاح : ص/٢٧ .

(٣) انظر : « التدريب : ص/١٠٥ » شرح البيقونية « للزرقاني مع حاشية الأجهوري : ص/٣٠ ، والاقتراح : ص/١٧٧ .

(٤-٥) راجع : « تدريب الراوي : ص/١٠٥ » ، و النكت على كتاب ابن صلاح : ص/٤٩١ .

(٦) راجع : « النكت : ص/٤٩٢ » .

(٧) راجع « التدريب : ص/١٠٥ » .

(٨) انظر : « التدريب : ص/١٥٠ » ألفية السيوطي ، بشرح عبد الحميد : ص/٥٨ .

(٩) راجع : فتح المغيث : ١/٧١ ، وقواعد التحديث : ص/١٠٩ ، وتحقيق القول بالعمل بالحديث الضعيف : ص/٢٢ بحث بحولية مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، للدكتور عبد العزيز عبد الرحمن بن محمد العدوان : ص/٦٧-٦٨ عام ١٤٠٥هـ .

(١٠) راجع : الرسالة للإمام الشافعي : ص/١٤١-١٤٢ ، والمسلة : ٢/٤ ، ٢/٤ ، والأم : ٤/٤٠ وفتح المغيث .

(١١) راجع : القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع لشمس الدين السخاوي : ص/١٩٥ ، و « الأجوبة الفاضلة لأبي الحسنات اللكنوي مع التعليقات الحافلة للشيخ عبد الفتاح أبي غدة : ص/٥٠ » وقواعد التحديث : ص/١١٢-١١٤ .

(١٢) راجع : عيون الأثر : ١/١٥ .

(١٢) راجع : تدريب الراوي : ص/١٩٦ ، والقول البديع : ص/٢٥٦ .

(١٤) راجع : قواعد التحديث : ص/١١٢ ، مقالات الكوثري : ص/٤٤-٤٦ .

(١٥) راجع : الفصل في الملل والنحل : ٢/٨٢ .

(١٦) راجع : فتح المغيث : ١/٢٦٧ .

(١٧) راجع : النكت : ١/٤٢٧ ، والقول البديع : ص/٢٥٥، وفتح المغيث : ١/٨٠.

(١٨) انظر : القول البديع : ص/٢٥٥ ، والموضوعات لابن الجوزي : ص/٣٥ .

(١٩) راجع : المصادر في هامش ٢ .

(٢٠) راجع : فتح المغيث : ١/٨٠ ، والقول البديع : ص/١٩٥ ، والأجوبة الفاضلة مع التعليقات الحافلة : ص/٤٦-٤٧ ، وقواعد التحديث : ص/١١٢ .

(٢١) راجع : أعلام الموقعين : ١/٢١-٢٢-٧٧ ، والمدخل إلى مذهب ابن حنبل لابن بدران : ص/٤٢ .

(٢٢) راجع : القول البديع : ص/٢٥٦ ، والنكت : ١/٤٢٦ .

(٢٣) الاعتصام : ١/٢٢٦ .

(٢٤) تدريب الراوي : ص/١٩٧ .

(٢٥) ملخص إبطال القياس والرأي : ص/٦٨ ، وراجع الأحكام : ٧/٥٤ .

(٢٦) أعلام الموقعين : ١/٣١ .

(٢٧) راجع : القول البديع : ص/٢٥٥ .

(٢٨) انظر : فتح المغيث : ١/٢٦٨، والقول البديع : ص/٢٥٥ ، وتدريب الراوي : ص/١٩٦، وتبيين العجب بما ورد في فضائل رجب : ص/٢٢، وقواعد الحديث : ص/١١٦ .

و راجع : الفتاوى : ١٨/٦٥-٦٨، والفوائد المجموعة : ١/٢٨٢، والاعتصام : ج/١ ، ص/٢٢٤-٢٢٥-٢٢٨ ، وسنن ابن ماجة : ١/٤٤٤ ، وتحفة الأحوذي : ج/٤ ، ص/٢٤٠ ، ومسند الإمام أحمد : ١/٤٧ ، ومنحة المعبود : ١/٢٥٣ ، وأخبار أصبهان : ج/٢ ، ص/١٨٠ ، والأجوبة الفاضلة : ص/٤٢ ، ومنهج النقد في علوم الحديث : ص/٢٩٤ .

٧٠٩١
١١-٣-٣

دراسات وأبحاث :

مجتمع الجاحظ كما يصور أدبه

[الحلقة الثانية]

بقلم : الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

منزلته الأدبية :

الجاحظ إمام البيان ، وأستاذ الأدب ، ولا نعدو الحقّ إن قلنا إنه سيد كتاب العربية بلا منازع ، وشيخ أدباء العرب بلا مدافع .

وكان « يتقلد خلافة إبراهيم بن العباس الصولي على ديوان الرسائل » ثم عيّن رئيسًا لذلك الديوان ولكنه لم يلبث فيه إلا ثلاثة ثم استعفى فأعفى (١) .

يعزو ابن شيد الأندلسي إخفاق الجاحظ في منصب الكتابة إلى أمرين (٢) : أولهما : « دمامة وجهه ، والملوك يؤثرون الكتاب ، الحسان الوجوه .

والثاني : « خفته وعبثه ، والكتاب يحمد فيهم الترصن والوقار » ويضيف بروكلمان (٣) « وكان الجاحظ مع علمه وكثرة تصانيفه عاجزًا عن تدبير الأمور » .

---

(١) انظر أدباء العرب ، بطرس بستاني : ص/٢٦٠ .

(٢) نفس المصدر : ص/٢٦١ .

(٣) تاريخ الأدب العربي : ج/٢، ص/١٠٨ ، وتجد تأييد هذا الرأي في كتاب <<<

يجب أن نحترس هذا الرأي ذلك لأننا نجد كثيرًا من ندماء الملوك والوزراء وجلسائهم كانوا يُعرفون بدمامة الوجه والخفة والعبث وعلى الرغم من ذلك كان الأمراء والوزراء يجعلونهم مصاحبين لهم وكاتبين للرسائل الديوانية ، مثل أبي الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني الذي لا يزال يتفوه منه النتن ويقطر منه العرق وشئ من القذارة ، مع ذلك كان الوزير المهلّبي ينادمه ويأكل معه رغم كونه أكثر الناس نظافة ، لقد قيل عنه : إنه إذا استعمل ملعقة مرة واحدة لا يستعملها مرة ثانية ، ولذلك فنعزو تركه هذا المنصب إلى سبب آخر وهو شغفه بالمطالعة والكتب ، فإنه رأي هذا المنصب عقبة في سبيل نجاحه فاعتزل عنه ، ونجد إشارة إلى ذلك في قول بروكلمان حيث يقول (١) : « اعتزل بعد ثلاثة أيام ورجع إلى البصرة للقراءة والتصنيف » وكما نستنتج هذا من كلام سهل ابن هارون إذ يقول (٢) : « إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتاب » ويؤيّد هذا الرأي قول الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي حيث يقول (٣) : « ترك الجاحظ ديوان الرسائل ، مؤثرًا الحياة الحرة ،

<<< الدكتور شوقي ضيف « العصر العباسي الثاني » حيث يقول فيه : « وربما كان قبحه الذي عرف به هو السبب الحقيقي في أنه وجد وظيفة ديوان الرسائل لا تلائمه » (العصر العباسي الثاني : ص/٥٩٠) ط. دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ١٩٧٢م .

(١) تاريخ الأدب العربي : ج/٢ ، ص/١٠٨ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت : ج/١٦ ، ص/٧٩ .

(٣) أبو عثمان الجاحظ لخفاجي : ص/٦٩ .

بعيدًا عن قيود المناصب وعن الشعوبيين والعناصر الحاقدة على العرب من الفرس وغيرهم » .

كان الجاحظ ذا منزلة رفيعة وعالية والشهادة على رفعته كثيرة ، وعن هذه الشهادات ما نقل عن أبي الفرج الأصفهاني في حديث له عن عبد الله ابن جعفر الوكيل قال (١) : « كنت يومًا عند إبراهيم بن المدبر فرأيت بين يديه رقعة يردّد النظر إليها فقلت له ما شأن هذه الرقعة كأنه استعجم عليك شئ منها ؟ فقال : هذه رقعة أبي عثمان الجاحظ ، وكلامه يعجبني وأنا أردّد على نفسي لشدة إعجابي » وقال أبو الفضل بن العميد (٢) : « ثلاثة علوم ، الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه فعلى أبي حنيفة ، وأما الكلام فعلى أبي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى أبي عثمان » .

إنه يعتبر في الرعيل الأول من مؤلفى عصره وكتابه كما يعدّ رأس المدرسة النثرية الثانية في الأدب العربي ، وقد كان عبد الحميد مع ابن المقفع رأس المدرسة الأولى ، وقد طرق الجاحظ أبوابًا شتى من العلم فألف فيها كثيرًا من الكتب والرسائل حتى « لا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر منه كتبًا » (٣) .

مؤلفاتـــه : خير ما يشهد على منزلة الكاتب العلمية هو آثاره التي

---

(١) معجم الأدباء : ج/١٦ ، ص/٩٢ .

(٢) معجم البلدان : ج/٦ ، ص/٧٦ .

(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي : ص/٢٨٤ .

خلّفها من ورائه فقد ترك الجاحظ كتبًا كثيرة أربى عددها على المائة (١) فيها مختلف الأغراض من أدب وشعر وديانات وعقائد وفلسفة وسياسة واقتصاد وغير ذلك من مواضيع تاريخية واجتماعية وجغرافية ورياضية وطبيعية .

هذه الكتب كلها تدل على فضله الجم وعلمه الغزير ولما كان المقام يضيق عن ذكرها فإنني سأكتفي بالإشارة إلى بعضها لما له من أهمية ومكانة وشهرة وقدر ، وهي :

١- البيان والتبيين أو (التبين) .

٢- الحيوان .

٣- كتاب البخلاء .

هذا وإن من يطالع كتب الجاحظ ومؤلفاته يلمس فيها فضله وعلمه ومباحثه الأدبية المبتكرة التي توفر عليها ، وأحسن عرضها حيث تيميز طابعه الدراسي فيها بتصوير الموصوف على الشكل الذي يراه ومن الناحية التي يريد أن يظهره فيها ، ويستعين على ذلك بتعابيره الخاصة فيكرر ويرادف ويبدي ويعيد إلى أن تتم له الصورة التي يريد .

تعالوا نقرأ ما قال الأدباء والمؤرخون في كتبه ، فقد نجد بين القدماء من يغلو في تقدير كتب الجاحظ ويتجاوز حدود الوقار فيقول : « رضيت

---

(١) لقد حاول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في جمع كتب الجاحظ ، فجمعها في كتابه أبي عثمان الجاحظ ، وقد بلغ عددها ، حوالي ١٨٧ ما عدا كتبه الشهيرة المعروفة .

في الجنة بكتب الجاحظ عوضًا عن نعيمها » (١) ، وقال ابن العميد (٢) : « كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانيًا » .

وقال ابن سنان في كتابه « سر الفصاحة » (٣) : « فكأنه في كل علم يخوض فيه لا يعرف سواه ولا يحسن غيره .. كان بحرًا من بحور العلم ، رأسًا في الكلام والاعتزال » .

هذه الشهادات إن دلت على شئ فإنما تدل على أن الجاحظ كان يتمتع بمنزلة فائقة ينظر إليه الناس بنظرة ملؤها الإعجاب والغبطة .

أسلوبه :

اشتهر الجاحظ بأسلوب فريد له ميزاته ومعالمه وطابعه في الكتابة العربية ، خصائصه الدعابة والاستطراد (٤) ودقة الوصف وقوة الاستدلال ، والتهكم اللاذع وشيوع روح المرح فيما يكتب ، وكان أقرب إلى المزاوجة (٥) من غير التزام للسجع الدقيق عند ما كان يكتب كتابة

---

(١) هو « أبو محمد » عبد الله بن حمود الزبيدي الأندلسي ، تلميذ السيرافي والفارسي والقالي - بغية الوعاة : ص/٨٢٢ .

(٢) معجم الأدباء : ج/١٦ ، ص/١٠٢ ، وفيات الأعيان : ج/٣ ، ص/١٤٢ .

(٣) أبو عثمان الجاحظ لخفاجي : ص/٢٦٦ .

(٤) هو أن يخرج الكاتب عن الموضوع الذي يعالجه إلى موضوع آخر قريب منه أو بعيد ، وكان الجاحظ يفعل ذلك ترويحًا عن القارئ ودفعًا عن الملل عنه (تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ج/٣ ، ص/٣٠٧) .

(٥) المزاوجة أو المزدوج الذي تتوازن فيه العبارات والصيغ وتتعادل إيقاعاتها تعادلا محكمًا (العصر العباسي الثاني) للدكتور شوقي ضيف : ص/٦٠٠ .

أدبيـــة .

وقد كتب في موضوعات غير أدبية أيضًا ولم تخل كتابته من غزارة الفكر والجمال الفني .

يقول عمر فروخ (١) : « وللجاحظ في كتبه أسلوبان ، أسلوب أنيق (فيه صناعة وموازنة وسجع وتأنق في اختيار الألفاظ وترديد للمعنى الواحد في تراكيب مختلفة) ويكاد يكون هذا الأسلوب مقصورًا على مقدمات كتبه ومطالع فصوله ، ثم له أسلوب يجرى فيه على السليقة ويعالج به الموضوعات التي يتناولها في متون كتبه » .

ويقول الأستاذ أحمد العوامري وعلى الجارم (٢) : « وللجاحظ فقر يعطف بعضها على بعض في غالب ما يكتب ، يرسلها في غير تكلف ولا تعمل ، تحلو في النفس ، وتعذب على السمع ، وإنها لأشهى من سجع البديع والحريري وأضرابهما من المتكلفين ، الذين أعيتهم المعاني ، فوقعوا عند الألفاظ وزخرفها ، فالجاحظ كاتب امتاز بحدة العقل ، وغزارة العلم ، وسلامة المنطق ، وبعد الغور ، فيما يتصدى له من موضوع ، فما حاجته إلى الزينة والزخرف ؟ وما افتقاره إلى التصنع والتكلف ، وإنما هو رجل تحقيق وتعمق » .

هذا وقد انفرد به من بين أئمة الترسل ، أسلوب أعيا المقلدين ، وانقطعت دونه أسباب المتشبهين فإن له لرنّة وإن له لنبرًا وإن له لروعة وإن له لطعما غير تلك الطعوم التي نتذوقها في كتابات البلغاء ، قديمهم وحديثهم .

---

(١) تاريخ الأدب العربي : ج/٢ ، ص/٢٠٧ .

(٢) مقدمة كتاب البخلاء للأستاذ أحمد العوامري وعلي الجارم : ص/٧ .

شعـــــره :

كان الجاحظ عظيم الذكاء قوى الملاحظة واسع التفكير بارعًا في كثير من علوم اللغة والأدب ومن العلوم الطبيعية ، والعقلية .

لم يتوقف ذكاء الجاحظ عند حد هذه العلوم بل إنما تطرّق إلى الشعر ، فكان له شئ من الشعر ، هو من باب شعر العلماء معاني ومنطقًا ومتانة في التعبير ولكن بلا طبع ولا ديباجة ولا رونق ، فإنه ما نبغ في الشعر كما نبغ أمثاله ، الصاحب بن عباد ، وابن عبد ربه ، وابن زيدون في كلا المجالين ، فلقد صدق عليه قول النقاد : إن الكاتب الألمعي لا يكون شاعرًا مجيدًا .

قال الجاحظ (١) :

يطيب العيش أن تلقى حليما ... غذاه العلم و الـرأي المصيب

ليكشف عنك حيـرة كل ريب ... و فضل العلم يعرفـه الأريب

يقـــول الأستاذ شفيق جبري (٢) : « فإذا دققنا في ألفاظ هذين البيتين ، كالعلم والرأي والحيرة والريب ، تبيّن لنا أنها ألفاظ مجردة » .

من شعره :

سقام الحرص ليس له شفاء ... وداء الجهل ليس له طبيب (٣)

[يتبع]

---

(١) الجاحظ معلم العقل والأدب ، للأستاذ شفيق جبري : ص/٢٥٢ ط. دار المعارف بمصر .

(٢) الجاحظ معلم العقل والأدب ، للأستاذ شفيق جبري : ص/٢٥٢ فليراجع للتفصيل في تاريخ بغداد للبغدادي : ج/١٢ ، ص/٢١٦-٢١٩ .

(٣) عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعي : ص/٤٢٦ ط. دار الكتب المصرية الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦هـ-١٩٢٧م .

دور الإسلام في إقرار المساواة الإنسانية

بقلم : الأستاذ محمد جنيد البابونغري الجاتكامي
عميد قسم التخصص في علوم الحديث الجامعة الإسلامية بابونغر شيتا غونغ - بنغلاديش

لم يزل الإنسان من عهده الأول يعتنق متنوع الديانات وشتى الأفكار، التي تحمل دعاوى مختلفة ومزاعم كثيرة، فالاشتراكية - مثلاً - تحتمل دعوى المساواة بين الفئات الإنسانية، وتسعى لأن تحوز بتلك الدعوى حسن القبول لدى الناس، ولكن ادعاءها للمساواة ادعاء زائف، لا أساس له من الواقع، ولقد شهد التاريخ أصدق شهادة بأن الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية - بالمعنى الصحيح - من معطيات الإسلام ومنحه فحسب، كان الإنسان قبل البعثة المحمدية موزعا بين قبائل وطبقات وقوميات، بعضها دون بعض، وكان التفاوت بين هذه الطبقات تفاوتا هائلاً، كتفاوت بين الإنسان والحيوان وبين الحر والعبد وبين العابد والمعبود، لم تكن هناك فكرة عن العدالة والوحدة والمساواة على الإطلاق، فأعلن النبي -ﷺ- بعد قرون طويلة ذلك الإعلان الذي أدهش العقول وهز أوتار القلب قائلاً: « يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لافضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى » (١).

---

(١) الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني : ٢٢٦/١٢.

وهذا الإعلان الفريد الهائل الثائر الغائر يتضمن حدتين، وحدة الربوبية، والوحدة البشرية، فالإنسان أخو الإنسان مرتين، مرةً - وهي الأساس - لأن الرب واحد، فليس عند الله سادة أو عبيد، أو أغنياء أو فقراء، أو عربي أو عجمي، بل الكل أمام الخالق الرب الواحد سواء، ومرةً ثانيةً لأن الأب واحد، فجميع الناس أبناء أب واحد، من كانوا وأينما كانوا!

فالإسلام أعلن مبدأ المساواة البشرية والأخوة الإنسانية في لفظ صريح ليس فوقه صراحة، وجعل التفاضل بالتقوى والفضائل المعنوية فحسب، وقضى على جميع الفوارق الطبقية والعصبيات الجنسية، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ٠ إن الله عليم خبير﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣]، وقال الله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٠] (١).

ويقول الرسول الأعظم -صلوات الله عليه وسلامه-: « إن الله قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب » (٢).

وذات مرة صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ديسمبر عام ١٩٤٨م، ولكن هذا الإعلان على كثرة بنوده وتفريعاته وحواشيه أقل بكثير من الاطار الذي رسمته هذه النصوص من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة

---

(١) السيرة النبوية للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي : ص/٤١١.
(٢) سنن أبي داؤد، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب : ٢٤١/٢.

بصدد الحقوق الإنسانية والمساواة البشرية ، وليت الفلاسفة والمفكرين وقادة السياسة وأساطين العلم نظروا بإمعان وتدبر إلى هذه النصوص وأمثالها من كتاب ربنا -عزوجل- وسنة نبينا -ﷺ- ، إذًا لأراحوا أنفسهم من ذاك العناء ، ولو فرّوا للأذهان المكدودة عافيتها (١) .

ونقدم إلى الإخوة القراء فيما يلي بعض أروع النماذج للمساواة في الإسلام غير ما ذكر :

١- قال النبي -ﷺ- ترغيبًا وتشويقًا إلى حسن الصنيع مع المملوك والخادم : « .. إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم » (٢) .

وقال النبي -ﷺ- : « إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ، ثم جاءه به وقد ولى حره ودخانه فليقعده معه فليأكل ، فإن كان الطعام مشفوهًا قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين ، قال داؤد : - راوي الحديث - يعني لقمة أو لقمتين » (٣) .

٢- وعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا ، فكان أول ما لقينا أبو اليسر صاحب النبي -ﷺ- ، ومعه غلام له وعلى أبي اليسر بردة

---

(١) مجلة منار الإسلام الصادرة من دولة الإمارات العربية المتحدة ، مارس ١٩٨٢م .
(٢) صحيح البخاري : ج/١ ، ص/٣٤٦ .
(٣) صحيح مسلم : ج/٢ ، ص/٥٢ .

ومعافرى وعلى غلامه بردة ومعافري ، فقلت له يا عمي لو أخذت بردة غلامك وأعطيته معافريك أو أخذت معافريه وأعطيته بردتك كانت عليك حلة أو عليه حلة ، فمسح رأسي ، وقال اللهم بارك فيه يا ابن أخي بصر عيناي هاتان وسمع أذناي هاتان النبي -ﷺ- ، يقول : أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ، وكان أن أعطيه من متاع الدنيا أهون على من أن يأخذ حسناتي يوم القيامة (١) .

٣- ومن أعظم ما يدل على مساواة الإسلام ما وقع في غزوة بدر إذ كانت الرواحل قليلة ، يروى ابن سعد عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه -، قال : « كنا يوم بدر ، كل ثلاثة على بعير ، وكان أبو لبابة وعليّ زميلَي رسول الله -ﷺ- ، فكان إذا كانت عقبة النبي -ﷺ- قالا : اركب حتى نمشي عنك ، فيقول : « ما أنتما بأقوى على المشي مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » (٢) .

٤- وأعظم من ذلك ما روى ابن إسحاق أن رسول الله -ﷺ- يعدل صفوف أصحابه يوم بدر ، فمر بسواد بن غزية وهو مستنتل من الصفّ ، فطعن في بطنه بالقدح ، وقال : « استو يا سواد » فقال : يا رسول الله أوجعتني فأقدني ، فكشف رسول الله -ﷺ- عن بطنه ، وقال : « استقد » قال : فاعتنقه فقبل بطنه ، وقال أردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله -ﷺ- (٣) ، ومهما كانت نية هذا الرجل

---

(١) الأدب المفرد ، للإمام البخاري : ص/٢٠ .
(٢) طبقات ابن سعد : ج/٢ ، ص/٢١ .
(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج/٢ ، ص/٢٧١ .

تعرض قصته نموذج التعليم الإسلامي في المساواة بأن النبي -ﷺ- وهو سيد الأنبياء والمرسلين - استعد حتى يقتص أحد من أمته ، وقدم له جسده الشريف . هل من الممكن أن يسجل التاريخ البشري مثل هذه المساواة والعدل ؟ كلا !

٥- ومن أوضح الأمثلة للعدل والمساواة في القضاء الإسلامي ما روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، قالوا من يكلم فيها - أي شفاعة في حدها - رسول الله -ﷺ- ، فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبّ رسول الله -ﷺ- ، فكلمه أسامة ، فقال رسول الله -ﷺ- : أتشفع في حد من حدود الله ثم قام ، فاختطب ، فقال : « يا أيها الناس إنما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (١) .

٦- وعن أبن أبي مليكة قال : قال أبو محذورة : كنت جالسا عند عمر - رضي الله عنه - إذ جاء صفوان بن أمية بجفنة يحملها ، فوضعوها بين يدي عمر ، فدعا عمر ناسا مساكين وأرقاء من أرقاء الناس حوله فأكلوا معه ، ثم قال عمر عند ذلك : « لعن الله قومًا يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم » (٢) .

٧- ومن أشهر الوقائع بخصوص ذلك ما سجل لنا التاريخ من قصة سفر

---

(١) صحيح مسلم : ج/٢ ، ص/٦٤ .

(٢) الأدب المفرد ، للإمام البخاري : ص/٢٢ .

عمر إلى الشام مع غلامه ، فكان عمر وغلامه يتناوبان البعير ، فإن المقعد خلفه كان عليه زاد السفر ، فلما حان وقت دخول الخليفة في معسكر المسلمين في نهاية سفره وقفت الجيوش مع قُوّادها لاستقبال الخليفة ، وقد اجتمع عدد من الأقوام الأخرى لمشاهدة أبهة الخليفة وشوكته ، وبيناهم كذلك إذ رأوا بعيرًا خرج من وسط الغبار وتقدم إليه القواد ، وقد تعجبوا من ذلك ، وسأل أحدهم مسلماً : هل الراكب خليفتكم ؟ فرد عليه المسلم بأن الخليفة من أمسك بزمام البعير يمشي ، والراكب غلامه (١) .

٨- و وقع لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في خلافته أنه أعطى غلامه دراهم يشترى بها ثوبين متفاوتي القيمة له ولنفسه ، فاختار الغلام لنفسه ثوبًا رخيصًا خشنًا ولأمير المؤمنين ثوبًا غاليًا ناعمًا ، فلما أحضرهما إلى عليّ أخذ الثوب الرخيص لنفسه وأعطى الغلام الغالي ، وقال له : « أنت أحق مني بأجودهما ، لأنك شاب تميل نفسك للتجمل ، أما أنا فليس لي رغبة في التجمل » (٢) .

فصفوة الكلام أن الإسلام له دور عظيم في إقرار مبدأ المساواة الإنسانية وتطبيقه عمليًا في المجتمع الذي يقوم على أساسه ويعمل فيه بتعاليمه ، ولم يُحرز مجتمع من المجتمعات البشرية ولا ديانة من ديانات العالم نجاحا مثل ما أحرزه الدين الإسلامي في إقرار الأخوة والمساواة

---

(١) رحمة للعالمين ، للعلامة القاضي سليمان المنصورفوري : ج/٢ ، ص/٤٨١ .

(٢) رحمة للعالمين : ج/٢ ، ص/٤٨٢ .

بين الأجيال المختلفة ، بالقضاء على جميع الفوارق الطبقية والميزات السلالية والعواطف الجنسية والعصبيات اللونية واللسانية ، وقد اعترف بذلك كثير من كبار المفكرين والمؤلفين والباحثين من غير المسلمين .

يقول لارنس (LAWRENCE) : « إن الأخوة التي أعلنها الإسلام ، كانت أمرا واقعا وشيئًا طريفًا لا عهد للشعوب الشرقية به ، إننا نشك في أن مسيحي سوريا كانوا يعاملون مسيحي إيران معاملة الإخوة للإخوة ، كما أن مسلمي الشام يعاملون إخوانهم في الدين من الإيرانيين ، ويعتبرونهم أعضاء أسرة واحدة » .

ويقول المؤرخ الفيلسوف (A. J. TOYANBEE) ما تلخيصه : « إن القضاء على الفوارق السلالية والعصبيات الجنسية والدموية من أعظم مآثر الإسلام ومفاخره ، ومما لا شك فيه أن الشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية قد حققت بعض النجاح في ربط الشعوب بعضها ببعض ، ولكن الحقيقة الراهنة التي يجب الاعتراف بها أنها أخفقت في القضاء على العواطف السلالية والجنسية » (١) .

فكان الدين الإسلامي حقًا مشاعًا وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب ، والأسر والبيوتات ، والبلاد والأوطان ، ليس فيه احتكار مثل احتكار الأكاسرة ملوك فارس ، فإنهم كانوا يدعون أنه يجرى في عروقهم دمّ إلهيّ ،

---

(١) راجع لشهادات غير المسمين بهذا الصدد « الإسلام ، أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية » لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي : ص/٣٨ إلى ٤٢ .

وكان الفرس يرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر ، ويعتقدون أن لهم حقًا على كل إنسان وليس لإنسان حق عليهم (١) أو مثل احتكار البراهمة من الهنود ، فقد جاء في قانونهم أن شودر (المنبوذين) كانوا أحطّ من البهائم وأرذل من الكلاب وأن من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك ، وليس لهم أن يدخروا مالاً فإن ذلك يؤذى البراهمة (٢) .

وأما الدين الإسلامي الخالد فيختلف شأنه عن شأن الديانات الأخرى ، التي هي مملوءة بألوان الجور واغتصاب الحقوق والاستهانة بشرف الإنسان والامتيازات القبلية والعواطف اللونية والدموية ، فصاحب رسالة الإسلام -ﷺ- كسر هذه الأوثان التي هي أوثان الجاهلية الجهلاء ، كسر وثن المادة والمعدة والبطن ، و وثن اللون واللسان والوطن ، و وثن جميع الفوارق الطبقية والعصبيات الجنسية ، وأعاد إلى الإنسانية شرفها وكرامتها وقيمتها بعد ما ضاعت وانعدمت ، أتانا بكتاب من الله جاء فيه عن كرامة الإنسان وسموه : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٧٠] .

وصرح نفسه بقول هو أدل شئ في الباب : « الخلق كلهم عيال الله ،

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، للعلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي : ص/٤٠ .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص/٥١ .

فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » (١).

وهكذا أسس رسولنا الأعظم - صلوات الله عليه وسلامه - كتلة بشرية مثالية ، تقوم على أساس العدل والمساواة ، والوحدة والأخوة ، والإخلاص والإيثار والوفاء والأمانة والصدق والحق والنصح والمواساة ، والحب والحنان ، والتعاون والتناصر ، وفوق كل ذلك على التقوى واليقين الراسخ والإيمان الكامل بالله الرب الخالق -عزوجل- ، لم يشاهد التاريخ البشري أحسن ولا أنفع للإنسانية من تلك الكتلة ، وهذه الكتلة أصحاب محمد -ﷺ- ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين - رضي الله عنهم ورضوا عنه -.

فالحق أن محمدًا -ﷺ- أحرز في إقرار مبدأ المساواة الإنسانية والأخوة البشرية والعدل والرحمة والوحدة ، و كذا في إنقاذ الجيل البشري من الشقاء والهلاك والدمار والانهيار وحل مشاكله الفردية والجماعية نجاحًا لم يحرزه الآخرون من أصحاب الديانات وعظماء الملل والزعماء والملوك والفلاسفة والحكماء والشعراء والأدباء وأمثالهم من أبرز الشخصيات ونوابغ الرجال الذين مضوا في سالف الزمان .

والبحث طويل الذيل و واسع الأنحاء جدًا ، وليس هذا موضع الاستيفاء ، فنقتصر على ذكر بعض نماذج الأخوة والمساواة الإنسانية التي لها صلة بالموضوع ، كرشحات وقطرات من بحر زاخر مائج .

هذا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

---

(١) الجامع الصغير مع فيض القدير : ج/٢ ، ص/٥٠٥ .

من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند :

الشيخ محمد علي المونگيري (مؤسس ندوة العلماء) ودوره في مواجهة القاديانية

بقلم : الأستاذ نور الحق الرحماني

إن القاديانية نحلة ضالة وفئة باغية وديانة مستقلة تشن الغارة على الإسلام من كل ناحية من نواحيه ، قامت على مبدأ إنكار صريح لعقيدة ختم النبوة وإهانة الأنبياء وإلغاء الحج والجهاد ، وعلى أساس المكر والمؤامرة والخداع ضد الإسلام والمسلمين .

وقد ظهرت هذه الفتنة أول مرة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كحركة دينية في شبه القارة الهندية ، وكان الإنجليز آنذاك يبذلون أقصى جهودهم لتدعيم أركانهم في الهند ، فأحسّوا إن تجمّع المسلمين و وحدتهم وروح جهادهم وفدائهم ستحول دون أغراضهم ، فلابد من إحداث التفرقة في صفوفهم وإضعاف قوتهم وهزمهم على الصعيد الحكومي والسياسي ، ولن تتحقق بدون ذلك أمانيهم وأحلامهم المعسولة ، فوجدوا المرزا غلام أحمد القادياني حريا بذلك ، حيث إنه كان طموحًا إلى أن ينال منصبًا دينًا رفيعًا ، ويكون له أتباع ومؤمنون ، ويستولى على العالم الإسلامي كله بالتبوء إلى الزعامة الدينية ، فوجده الإنجليز وكيلا لهم يعمل بين المسلمين لإنجاز مصلحتهم وتحقيق أهدافهم ، فقامت هذه الفتنة الشعواء كحركة دينية تحت إشراف القوى الاستعمارية والحكومة

البريطانية برئاسة مرزا غلام أحمد القادياني ، وبدأت نشاطها الهدام ضد الإسلام و واصلت حركتها وسيرها تحت رعاية الحكومة الإنجليزية والأحزاب المعادية للإسلام ، فنشأت وترعرعت وباضت وفرخت وازدهرت وأثمرت واستفحل الأمر وتفاقم الشر وأخذ يمتد جذورها في جميع أنحاء الهند .

وكانت الظروف رهيبة حاسمة لمسلمي الهند من الناحية الدينية حيث إن الصراع كان شديدًا حينذاك بين الإسلام والمسيحية وكان المبشرون المسيحيون منبثين في المدن والقرى يدعون إلى المسيحية علنًا ، ويهجمون على الشريعة الإسلامية ، وكانوا يكرسون جهودهم البالغة لجعل أهل الهند عامة والمسلمين خاصة مسيحيين واعتبار الإسلام دينًا انقضى دوره وذلك بكل ما لديهم من قوة و وسائل وطاقات وإمكانيات ، وكان العلماء المسلمون يحاربونهم ويردون على كيدهم ومؤامراتهم إذ ظهرت هذه الفتنة الأخرى أشد خطورة وأبشع صورة من ذي قبل وأشد خطرًا و هجمًا على الإسلام ، فأحس العلماء خطر هذه الفتنة العمياء واستعدوا لمقاومتها بكل ما لديهم من عدة وعتاد ، وحاربوها بألسنتهم وأقلامهم في كل مكان ، وكان في طليعة من قاموا بالرد على هذا التيار العنيف الجارف العلامة محمد حسين البتالوي والشيخ عطاء الله البخاري والدكتور محمد إقبال الشاعر الإسلامي الكبير والشيخ ثناء الله الأمرتسري والعلامة المحدث الكبير أنور شاه الكشميري والعلامة شبير أحمد العثماني ومولانا مرتضى حسن الجاندفوري وغيرهم من علماء دار العلوم ديوبند ، ولكن الذي لعب دورًا رئيسيًا في هذا المضمار هو الشيخ

العالم الرباني الكبير السيد محمد علي المونگيري - رحمه الله رحمة واسعة - والشيخ المونگيري يعرف بفكره الممتاز حول منهج التعليم والتربية ، قام بتأسيس المركزين الدينيين والمعهدين العلميين - ندوة العلماء لكناؤ ، والجامعة الرحمانية بمونگير - وله مواقف محمودة ومساعي مشكورة في الرد على النصرانية وإبطال مزعوماتها ، قد صنف أكثر من عشرة كتب في الرد على المسيحية حتى تعتبر خدماته إصلاحية وتجديدية في هذا المجال ، فنهض الشيخ لمطاردة هذه الفتنة القاديانية وإيقاف نشاطها وسيرها بجميع طاقاته وركّز لذلك فكره واهتمامه ، و كانت ولاية بيهار مركزًا لحركات القاديانية الهدامة ونشاطاتها الإبلاغية ، فكان من الجدير به أن يجعل تلك الولاية مركزا لحركته الإصلاحية والدعوية ، فانتقل من مولده المألوف « كانفور » إلى مونگير وأقام فيها واستوطنها ، وبدأ حركة منظمة لمحاربة هذه الفتنة الطاغية والنحلة الضالة وكشف زيغها و ندّد بأباطيلها ، كما وجه إلى ذلك جميع أتباعه ومخلصيه ودعاهم إلى المساهمة فيه ومضاعفة الاهتمام به واعتبره أعظم كفاح وأفضل جهاد ونضال ، فبدأ يكتب الرسائل ويؤلف الكتب ويعقد الاجتماعات ويلقى الخطب ويقيم المناظرات لإيضاح الحقيقة وكشف الستار عن وجه هذه الفرقة الضالة التي كانت تزاحم الإسلام في كل شئ متخذة اسم الإسلام ستارا لأغراضها الخبيثة الماكرة ، فقامت مناظرة شعبية عظيمة في مونگير وأرسل المرزا مبعوثيه للمناظرة ، ودعا الشيخ المونگيري حوالي أربعين عالما من أقطار الهند المختلفة الذين كانوا يتولون مكانة مرموقة بين علماء الهند ، وقد حضرها كثير من الناس من

الولاية وخارجها يشاهدون مناظرها ، فانتخب الشيخ المونگيري مولانا مرتضى حسن ممثلا له في المناظرة واحتشدت فرقة العلماء هذه في ساحة المناقشة وكان الميدان مزدحمًا بالناظرين والمستمعين وكان منظرا بديعًا ، فشرع مولانا مرتضى حسن في المناظرة وخطب خطبة جامعة وأثبت زيغ القاديانية وضلالها وكذبها وافتراءها في ضوء الحقائق الثابتة والحجج القاطعة التي لا يمكن من الإنكار عنها لمن يتدين بالإسلام ، فكان لخطبته نفوذ وتأثير في نفوس السامعين وعلاج لقلب اعتل بشئ من وساوس هذه الفئة الضالة الخارجة عن الإسلام ، واستولى الذعر والخوف على قلوب مبعوثي المرزا ، حتى إذا طُلب منهم الجواب دُهشوا ولم يجدوا جوابا و ولّوا هاربين مقرين بهزيمتهم ، فكان لهذه المناظرة المشهودة علائم طيبة ونتائج سارة مرضية ، وضغط كبير على حركة هذه الفئة الهدامة فتخافت صوتها وتضاءل نشاطها وتوقفت عن سيرها إلى حد كبير ، ولم يجيبوا لدعوة المناظرة مرة ثانية في تلك المنطقة .

وبعد ذلك اختار الشيخ وسائل أخرى مؤثرة لصد هذا التيار المضاد للإسلام ، فبدأ في التصنيف والتأليف ضد القاديانية على النطاق الواسع وأقام مطبعة مستقلة في الجامعة - الجامعة الرحمانية بمونگير - مختصة بطبع الكتب التي كانت تؤلف ضد القاديانية ، وأصدر مجلة دينية باسم « صحيفة رحمانية » باللغة الأردية ، وفرغ جميع أوقاته للتصنيف والتأليف ، حتى ترك صلاة التهجد التي كان يصليها بالمواظبة ، وألف حوالي مائة كتاب بين صغير وكبير حول هذا الموضوع ، وقام بذلك كله رغم ما كان يعانيه من الضعف والمرض ، وذلك فضل الله يؤتيه

من يشاء ، وكان يتحمل جميع ما يكلفه الطبع والنشر من نفقات خطيرة ومصاريف ضخمة ، وأحيانًا كان ينفق في ذلك جميع ما كان عنده من المال ويؤخر حاجاته الشديدة الأكيدة ويقوم بتوزيعها مجانًا بين المسلمين ليستفيدوا على أكثر ما يمكن ، ولم تتحمل حماسته الإيمانية وغيرته الدينية وحبه الصادق مع الرسول -ﷺ- وإخلاصه بالدين وعقائده ، هذه الثورة على الإسلام والاستهزاء بالدين فاضطرم غيضا ونهض لإقلاع هذه الجرثومة الخبيثة بكل ما لديه من الوسائل والمؤهّلات ، واستولت عليه فكرة شغلته عن كل شئ ، و وجّه أصحابه وأنصاره إليه قائلاً : صنّفوا واطبعوا وانشروا و وزّعوا ! حتى إذا استيقظ في الصباح رجل من المسلمين وجد تحت وسادته كتابا جديدًا في ردّ أباطيل القاديانية .

وحيثما رفعت هذه الفتنة رأسها في قطر من أقطار الهند وخارجها وصلت إليه مؤلفات الشيخ فمنعت نشاطها وأوقفت سيرها وتجنب الناس من مزالق الزيغ والضلال ، مع العلم بأن خدمات الشيخ وكفاحه باللسان والقلم مع هذه الفرقة الضالة المارقة عن الدين منة عظيمة على الأمة المسلمة التي لا تتخلص منها أبدًا ، وجزء متنور من حياته المقدسة التي لا يستكمل بدون ذكره التاريخ الإسلامي ، فقد أنقذت بصيرته الإيمانية و مجهوداته المتواصلة الضخمة آلافًا من المسلمين من تيار الكفر والارتداد ، حتى استطاع على إعداد جماعة من أتباعه الغيورين الذين دافعوا عن الإسلام وتعاليمه ودحضوا هذه الفتنة .

وقد ألف الشيخ حوالي مائة كتاب رغم ما كان يواجه من أسقام وآلام وضعف ، ومن أشهرها (الحكم السماوي) (الشهادة السماوية - في ثلاث

مجلدات) (تحدى الشريعة المحمدية) (معيار الصداقة) (معيار المسيح) (التنزيه الرباني) (الرسالة الحقانية) (مرآة كمالات مرزا) (القضاء على نبوة مرزا) وغيره ، أوضح الشيخ في تلك الكتب حقيقة هذه الفتنة وكشف النقاب عن مؤامراتها الخبيثة التي تدبرها ضد الإسلام ، كما استعرض فيها عقائدها الخرافية ودعاوى مؤسسها الباطلة التي تتعارض بعضها بعضًا ، ولا تتطابق مع الإسلام في شئ ، وكل ذلك في ضوء الآيات القرآنية والنصوص القطعية والأحاديث المتواترة المستفيضة وإجماع الأمة ، ولابد أن يتأثر بها كل من طالعها بدون انحياز ، وتمتاز هذه الكتب بأسلوبها البديع وتعبيراتها السهلة المفهومة ومادتها الغزيرة وأدلتها الصارمة القوية المستمدة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، إنها سمات ظهرت في أجلى مظاهرها وأروع أشكالها في تلك الكتب واعترف بها كبار العلماء والمفكرين ، وبعض الكتب منها طبعت في لغات عديدة وما استطاع مرزا ولا أحد من أتباعه أن يرد عليها مع انها طبعت مرات عديدة في حياة الشيخ وبعد وفاته أيضًا .

وهذه نبذة من مآثر الشيخ المونگيري ودوره الذي قام به في في مواجهة هذا التيار المضاد الجارف على الإسلام والمسلمين ، وأما الاستعراض الكامل لخدماته وجهاده فإنه يحتاج إلى كتب ضخمة وسفر طويل ، إنه قام في هذا المضمار بما لا تستطيع أن تقوم به المجامع العلمية العديدة ، وإنها مفخرة لا ينساها تاريخ الهند الإسلامي ، ولا تزال تتجدد بتغير الظروف والزمان ، وتلمع كنجوم متلالئة في سماء التاريخ الإسلامي .

٧ ٧ ٧ ٧

منهجية البحث العلمي :

الجوانب الفنية التي ينبغي مراعاتها عند إعداد الرسائل والبحوث العلمية

[الحلقة الرابعة]

سعادة الدكتور ظفر الإسلام خان
مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بدلهي الجديدة

خطة نقل الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية Transliteration :

الهدف من خطة كهذه هو أن يتمكن أي شخص آخر من نقل كلمة أو جملة بدون خطأ إلى الحروف العربية ، و هناك أسلوب متعارف عليه إلا أن خطة دائرة المعارف الإسلامية تختلف عن هذا الأسلوب بصورة رئيسية في شيئين : استخدام dj لحرف الجيم بدلا من j ، واستخدام k للقاف بدلاً من q وإسقاط (هـ/ة) في نهاية الكلمة ، وفي حالة إمكان حدوث الخطأ يضاف قوس صغير واحد مثل Ash'hab (أشهب) بدلاً من ashhab .

الاختصارات :

يمكن اختصار أسماء بعض المراجع أو المجلات (١) التي ترد كثيرًا في البحث مثل :

= الأعلام = الزركلي ، الأعلام ، ط ه (بيروت ١٩٨٠م) .

= كشف الظنـــــون : مصطفى آفندي الحاج خليفة ، كشف الظنون (بغداد ب . ت) .

= كشاف = محمد علي الفاروقي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون

---

(١) راجع كتاب Pearson, Index Islamicus للاختصارات المتعمدة في الأوساط الأكاديمية للمجلات والدوريات الغربية .

(بيروت ١٩٦٦م) .
= الأزهرية : فهرس المكتبة الأزهرية وملاحقها ، ط. ٢ (القاهرة ١٣٧١هـ -١٩٥٢م) .
= هدية العارفين : إسماعيل بن محمد الياباني البغدادي ، هدية العارفين (بغداد ب. ت) .

- BSOAS - Bulletin of the School of Oriental & African Studies, London .
- EI1 - Encyclopaedia of Islam, 1st Edition .
- EI2 - Encyclopaedia of Islam, New Edition .
- IC - Islamic Culture, Hyderabad .
- IJAHS - International Journal of African Historical Studies.
- JAH - Journal of African Historical Studies.
- IS - Islamic Studies, Islamabad .
- Meq - Muslim Eduecation Quarterly .
- QII - The Quarterly Index Islamicus .

وفي حالة استخدام الاختصارات والرموز من هذا النوع يجب وضع فهرس لها في صدر البحث ، مع ذكر ما يتعلق منها بالمصادر بكامل تفاصيلها في قائمة المصادر في نهاية الكتاب .

ويجب أن تلتزم بالرموز والاختصارات التي تبنّيتها طوال بحثك فلا تخترع رمزًا جديدًا لعمل واحد في مكان آخر من البحث ، أما الرموز المتعارف عليها في البحوث الأكاديمية الغربية فيمكن الاطلاع عليها في الإطار المرافق .

التفاصيل الببليوغرافية :

يجب أن تكون المعلومات الببليوغرافية التي تذكرها عن المصادر والمراجع دقيقة مائة في المائة ، ولو كان ممكنا أعد التأكد من المعلومات الببليوغرافية قبيل طبع الرسالة .

الرموز المستخدمة عمومًا في المراجع الغربية (١)

الرمز	أصله اللاتيني (إن كان اختصارًا)	أصله الإنجليزي	معناه بالإنجليزية	المرادف العربي
anon.	-	Anonymous	-	مجهول (مؤلف مجهول)
art.	-	article	-	مقال
cf.	compare	confer	-	قارن
codex	-	manuscript	-	مخطوط
ed.	-	editor/edition	-	محقق / تحقيق
et.al.	et alii	-	and others	و آخرون أي مؤلفون آخرون إلى جانب اسم المؤلف المذكور في المرجع
f.	-	following	(and the following page)	والصفحة التالية
ff.	-	following	(and the following pages)	والصفحات التالية
fol.	folio	-	leaf of a ms.	ورقة (من مخطوط)
ibid.	ibidem	-	in the same place/work	نفس المكان / الصفحة
id.	idem	-	the same author	نفس المؤلف

تحت / فيما يلي / أدناه	below/later on	-	infra.
نفس الصفحة	in the place already cited	-	loc. cit.
المكان المشار إليه سابقًا	-	loco citato	loc. cit.
مخطوط	-	manuscript(s)	ms. pl. mss.
هامش	-	note (foot-note)	n.
المصدر السابق	the work already cited	-	op. cit.
هنا وهناك (أي في أمكنة أخرى من نفس المصدر)	Here and there	-	passim.
والصفحة التالية	and the page following	sequens	seq.
والصفحات التالية	and the pages following	sequentia	seqq.
كذا / هكذا (أي هكذا وجدته في النص وهو ليس من عندي)	thus	sic	-
فوق / فيما سبق	above/previously	-	supra.
فيما مر / أعلاه	-	-	-
مترجم / ترجمة	translation/translator	-	tr.
انظر	see	-	v./vide.

(١) لا تذكر الرموز أعلاه في « قائمة الرموز » في بحثك ، فهي متفق عليها ويفترض أنه يعرفها كل باحث .

وعند استخدام مقالات من دوائر المعارف ينبغي ذكر كتابها وستجد أسماءهم في نهاية المقالات ، وإن وجدت الأحرف الأولي فقط من أسمائهم فيمكنك فك رمزها بالرجوع إلى قائمة الاختصارات في أول كل مجلد .

توجد الحروف المائلة (الإيتاليك) Italics في الحروف اللاتينية ، ولا يتوفر هذا في الحروف العربية ، ولذلك يوضع خط تحت كل كلمة ينبغي استخدام الإيتاليك لكتابتها ، وعند طباعة الكتب تجمع هذه الكلمات العربية بحروف سوداء بدلاً من الحروف المائلة في اللغات الأوربية ، ويجب وضع خط تحت اسم الكتاب ، أما المقالات في المجلات فتوضع بين قوسين صغيرين ويوضع الخط تحت اسم المجلة أو المجلد الكتابي أو المجاميع التي تحتوي مقالات لعدد من الكتّاب ، وعلى سبيل المثال :

- Francis E. Peters, Allah's Commonwealth (New York 1975) .

= أحمد بن علي المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) .

= عمر فروخ ، تجديد التاريخ (بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨٠م) ٢٤٠-٢٤٢.

- Marilyn R. Waldman, "Islamic Studies : A new orientalism" Journal of Interdisciplinary History VIII (1978), PP 545-62:

A. K. S. Lambton, "The merchant in mediaeval Islam" A Locust's ieg : studies in honour of S. H. Taqizadeh (London 1962) pp 121- 30 .

= عبد الأمير محمد أمين ، « مصادر تاريخ العراق والخليج العربي في دار السجلات الحكومية الهندية في بومبائ » المؤرخ العربي ٩ (١٩٧٨م) ص/٦٢-٧٩ .

وبعد ذكر التفاصيل الكاملة لمصدر ما مرة واحدة ينبغي عدم تكرارها ، بل يكفى ذكرها باختصار في كل مكان ، (ما عدا ثبت المصادر حيث تذكر مرة أخرى بالكامل) كما يلي بالنسبة إلى المصادر التي ذكرناها آنفًا :

Peters, Allah's Commonwealth.

= المقريزي ، اتعاظ الحنفا .

= فروخ ، تجديد لتاريخ .

Waldman, "Islamic Studies".
Lambtonm, "The merchant".

= أمين ، « مصادر تاريخ العراق » .

ولو كان المؤلف مجهولاً فيوضع الكتاب أو المقال تحت اسم « مجهول » (Anon) في الترتيب الألفبائي لثبت المصادر ، مثل :

مجهول ، كتاب المخزون جامع الفنون ، مخطوط عربي برقم : ٢٨٢٦ ، المكتبة الوطنية ، باريس .

وذكر اسم الناشر ليس ضروريا بصورة عامة ولكن يستحسن ذكره لو كان الكتاب - مثل كتب التراث العربي الإسلامي - متوفرا في عدة طبعات متداولة مثل السيرة النبوية لابن هشام ..

ولو كان الكتاب ضمن سلسلة معينة من الكتب يفضل ذكر رقمها في السلسلة كذلك ، مثل :

= فهمى هويدي ، الإسلام في الصين ، سلسلة عالم المعرفة ، ٤٢ (الكويت ١٤٠١هـ-١٩٨١م) .

- R. W. Bulliett, The Patricians of Nishapur : a Study in medieval Islamic Social history Harvard Middle Eastern Studies, 16 (Combridge, Mass. 1972).

وليس من الضروري أن تذكر كل مرجع رجعت إليه أو أشرت إليه مرة أو مرتين في بحثك ، ولا بأس بعدم وضع مراجع كهذه في ثبت «المراجع» وعند ذلك سيكون عنوان ثبت المراجع : « أهم المراجع » أو « المراجع المختارة » Select Bibliography .

[يتبع]

صـــــور و أوضـــــاع :

متى تفيق أوربا من أهوال الفتح الإسلامي

واضح رشيد الندوي

في القرون الوسطى التي كانت أوربا تتسكع فيها في دياجير الظلام وكان العلم والبحث والمطالعة الحرة للعلوم فضلاً عن الأديان ، ونظريات الأمم الأخرى شجرة ممنوعة ، وكانت تحت سيطرة الكنيسة الخانقة ، إذا كان أحد يحمل حقدًا وكراهية للإسلام كان ذلك أمرًا طبيعيًا ، لأن الكنيسة كانت مهيمنة على النفوس والعقول ، وكانت أوربا قد مرت بغزو المسلمين وتجرعت مرارة الهزيمة النكراء بل الهزائم النكراء بأيديهم ، وكانت جيوش المسلمين تهدد مدنها الكبرى التي كانت تعيش في تخلف وظلام ، فكان من الطبيعي أن تحمل أوربا كراهية الإسلام والمسلمين لمعالجة نفسية الخوف التي كانت تساورها ، والشعور بمركب النقص الذي كانت تعالجه ، ولكن الغريب في أمر أوربا أن هذه النفسية ظلت طارئة على أذهان الكتاب في أوربا إلى القرون المتأخرة التي تعتبر قرون العلم والنور ، لأنها عند ما عكفت على دراسة العلوم والفنون والآداب بقلب صاف ، وذهن حر ، واعتبرت الشك في كل ما نقله إليها العلماء والباحثون السابقون أساسًا للانطلاق إلى معرفة أكثر ، وتجديد الذهن ، إنها وقفت إزاء الإسلام والتاريخ الإسلامي موقف التقليد والمحاكاة ، فكانت تبحث عن شئ جديد في العلم والاكتشاف ، ولكن في الوقت نفسه تتمسك بالقديم ، بل بالخرافات التي وجدتها في كتب المتقدمين الذين كتبوا عن الإسلام والمسلمين والشخصيات الإسلامية بدون دراسة حرة

وقد اعترف بذلك درمنجم في حياة محمد -ﷺ- فقال : « لما نشبت الحرب بين الإسلام والمسيحية اتسعت هوة الخلف وسوء الفهم بطبيعة الحال وازدادت حدة ، ويجب أن يعترف الإنسان بأن الغربيين كانوا السابقين إلى أشد الخلاف ، فمن البيزنطيين من أوقروا الإسلام احتقارًا من غير أن يكلفوا أنفسهم فيما خلاجان داماسين ، مؤنة دراسته ، ولا يحارب الكتاب والنظامون مسلمى الأندلس إلا بأسخف المثالب » .

وإذا أتيحت لأحد فرصة لدراسة ما كتب في القرون الأخيرة ، حول السيرة المحمدية على صاحبها الصلاة والتسليم ، وفي التاريخ الإسلامي ، وحتى القرآن الكريم أدرك أن اللاحقين يعيدون ما كتبه السابقون بدون تحقيق وتمحيص ، ويحار المتتبع لهذه الكتابات المضللة ، إذا رأى محققًا أوربيًا في التاريخ العام يتخذ موقف دراسة حرة ، وفي العلوم ناقدًا لآراء السلف يتبع خطى سلفه عند ما يكتب عن الإسلام وذات الرسول -ﷺ- ، فلا يتجاوز عن وصف الإسلام بالوحشية والبربرية ، والقرآن بأنه كلام محمد -ﷺ- فيبدو كأنه ناقل بدون عقل ، وإن زاد فيه زاد من المثالب والبذاءة وسلاطة اللسان ، وأحيانًا يبدو كأنه ينقل من الأغاني التي وضعت في القرون المظلمة لتخويف الأوربيين بالإسلام ، وتهويلهم .

وقد أصبحت الكراهية والحقد سمة غالبة لكتابات الأوربيين فلا يبالي الكاتب إذا وقعت في كتاباته تناقضات ، أو اعتمد على خرافات لا يقبلها العقل ، ولا يتعدى كلام بعض الكتاب عن المثالب ، والسباب ، والأسلوب السافل في معالجتهم لقضية إسلامية .

صدرت خلال السنين الأخيرة عدة معالجات وتحليلات للظاهرة

الإسلامية ، أو ما يصفه الغربيون بالصحوة الإسلامية التي هي نتيجة طبيعية لسياسة الكبت والقمع ، والتضليل ، التي مربها المسلمون في عهد الاستعمار الأوربي والتنصير الإجباري ، والدعاية الباطلة عن الإسلام ، وما سلكته الحكومات القائمة في البلدان الإسلامية من سياسات قاهرة تحت توجيه القادة الأوربيين الخائفين من عودة الإسلام ، وتبدى هذه الكتابات حيرة الكتاب الغربيين في وصف هذه الظاهرة ، بالنعوت التي يستعملونها فيقول بعضهم « الصحوة الإسلامية » وآخرون ، الإرهاب الإسلامي ، ويقول آخرون : « الإسلام العسكري » أو عسكرية الإسلام ، ويقول بعضهم الأصولية الإسلامية ، والتزمت الإسلامي ، فهل هذه التعبيرات كلها مرادفة ، ويقول البعض إن الإرهاب ظاهرة محدودة يقع فيه بعض الشباب الذين نشأوا في ظل الحركات الإرهابية ، وإن الإسلام بريئ من هذا التفكير ، ويقول بعضهم : إن الإسلام هو دين العنف ، وهو الذي يعلم الإرهاب .

ويدل كل ذلك على عدم التفكير والدراسة ، وعلى أن هذا الكلام صادر من انفعال ، ويعيد هذا الكلام الحكام الخاضعون للدول الكبرى فيستعملون هذه المصطلحات ، وكذلك المنظمات التي تعادى الإسلام ، ومنها المنظمات الهندية ، التي تدعو إلى التهنيد ، واخضاع المسلمين للتيار الوطني والوثني ، فهي أيضًا تأخذ الخيط الذي ترسله وسائل الاعلام الغربية .

ومن هذا القبيل تقرير صدر أخيرًا باسم Asia Right Watch وقد نقلته الصحف الكبرى في أوربا ، ونقلته الصحف الهندية البارزة كمفاجأة ، أو اكتشاف ، وكأن هذا التقرير يؤثر في عقلية هذا العصر ، ويغير تصورات العقلاء بالنسبة للإسلام ويدعى أصحاب هذا التقرير أنه

يشتمل على آراء المحنكين والمثقفين الكبار ، وبدأت تعليقات على أساس هذا التقرير ، وخلاصة التقرير أن العنف والتدمير هما من أساسيات الإسلام ، وأن الإسلام يعلم أتباعه العنف وعدم التسامح مع من لا يؤمن بالإسلام ، وقام التقرير بتطبيق هذا التصور وهو تصور القرون الوسطى ، والمستمد من مركب الذعر والذي ساد في أوربا ، على الوضع الراهن في العالم كله ، وأرجع جميع الصراعات في العالم اليوم إلى تعاليم الإسلام ، فقال : في كل مكان يوجد فيه صراع ، يوجد وراءه مسلم ، وكذلك عن المرأة يقول : إن المرأة في الإسلام بضاعة ، وإن الإسلام دين الرجال .

ولا يحتاج هذا التقرير إلى دراسة عميقة لأنه نقل لكلام الكتاب والنظامين في القرون المظلمة عند ما كان الإسلام غالبًا ، مسيطراً على العالم ، أما العقلاء والمثقفون الذين استند إليهم التقرير فهم الذين نشأوا في أوكار الغرب وقرأوا ما كتبه الكتاب في القرون الماضية .

إن أوربا تدعى بالعلم ، وحرية الفكر ، والمدنية ، لكنها بالنسبة للإسلام جامدة ، مقلدة ، وضيقة الأفق ، وغير مثقفة ، وقد حان الأوان لكتاب في الغرب أن يفكروا بحرية ويدرسوا الإسلام بذهن منفتح ، غير مقلدين لما كتبه الكتاب والأدباء والشعراء في عهد الظلام ، وعهد الانهزامية ، فلو فعلت أوربا ذلك لخرجت من كثير من أباطيلها وخرافاتها ، وحلت كثيرًا من مشاكلها مع الإسلام والمسلمين ، ومنعت الصراع الذي يتطور بين الغرب وعالم الإسلام ، فإن الذين درسوا الإسلام من مصادره ، ولم يدرسوه في واقع العالم الإسلامي أو واقع حياة المسلمين ، الذي له مسببات ، وبواعث متعددة ، أدركوا أن الإسلام هو الحق ، وأن ما كتب عنه في القرون السالفة كان كذبا وافتراء بل هراء ، وهذيانًا .

أخبار اجتماعية وثقافية :

دار الشريعة بالهند تعقد مؤتمرًا لعموم الهند في مدينة بنگلور

حول أهمية نظام الزكاة الجماعي في الإسلام

بقلم : مندوب دار الشريعة

إن الإسلام دين الأخوة والمواساة في كل شعائره وجميع أوامره ونواهيه ، وإنه لما يؤكد على صلة الرحم فيما بين المسلمين والمعاملة بالرحمة والمساواة ، ومن أجل ذلك فإنه سن نظامًا اقتصاديًا من أحسن النظم الاقتصادية التي تعاقبت على وجه الأرض في هذه المدة السحيقة والذي يتكفل انهاض الطبقة المتخلفة في المجالات الاقتصادية والتعليمية ، وهو الذي نعرفه جميعًا بنظام الزكاة ، وهو نظام حكيم عادل ، شرعه الله تعالى لعباده كمظهر خاص لربوبيته رحمة بهم ، حيث إنه إلى جانب كونه عبادة يمتاز بأهمية كبرى من الناحية الاقتصادية والإصلاحية ، وقد ذكره الله تعالى في كثير من المواضع في القرآن الكريم فقرنه بالصلاة وجعله توأمًا لها ، حيث يقول في كتابه العزيز : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٤٣] .

فإنه لم يذكر إقامة الصلاة حتى ذكر إقامة الزكاة كذلك ، إشعارًا بأهميتها والمصالح التي تطلب من خلالها ، فكما أن الصلاة تمثل حقوق الله تعالى فإن الزكاة تمثل حقوق العباد ، وبإقامة هذين الطرفين الأساسيين يكفؤ الإنسان لأن يرتفع إلى أعلى مدارج الإنسانية ومكارم الأخلاق .

هذا ما قاله فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي الأمين العام (للأكاديمية الفرقانية) ورئيس دار الشريعة ، بالهند ، وهو يتحدث أمام الجموع الحاشدة في خطبته الرئيسية التي ألقاها في المؤتمر لعموم الهند حول موضوع « نظام الزكاة الجماعي في الإسلام » والذي عقدته دار

الشريعة التابعة للأكاديمية الفرقانية بمدينة بنگلور ، الهند ، خلال الفترة من ١٢-١٢ مارس عام ١٩٩٥م ، والشيخ شهاب الندوي هو الذي أعطى فكرة تنظيم هذا المؤتمر وبذل كل ما في وسعه - رغم قلة إمكانياته و وسائله - في عقد هذا المؤتمر ، وهو أحد العلماء البارعين والباحثين المعروفين في البلاد الهندية والإسلامية ، والذي بدأ حركة جديدة لتنشيط الأمة الإسلامية ولنفخ روح جديدة للحياة في جسدها الميت ، ولقد أربت كتاباته القيمة على أربعين كتابا في الموضوعات الإسلامية المختلفة ، والتي تمتاز بدقة النظر وجودة الفكر ، وقد نشرت تلك الكتابات الدافعة إلى ثورة جديدة في الفكر والعمل ، رسالة جديدة للأمة الإسلامية ، وفتحت آفاقا واسعة للجهاد الإسلامي الأكبر في الأوضاع الراهنة .

وأضاف الشيخ الندوي قائلاً : إن الإسلام هو الذي يزكو - من بين الأديان الأخرى - بأن يعتز بأنه سن نظامًا اقتصاديًا حسنًا يضمن تحسين الأوضاع في المجتمعات الإسلامية ، في حين تنفيذها بكل دقة ، بل إنه يطرد الفقر من المجتمعات الإسلامية ، فما لنا لا نرى أي واحد من تلك المنافع المتوخاة من وراء هذا النظام ، فأول العيب في ذلك يرجع إلى عدم إقامة التنظيم الصحيح في توزيع الزكاة ، فإن الناس في أيامنا هذه يصرفون أموال الزكاة بدون تروٍّ وتعبّدٍ ، ويبددونها بين المتسولين والمستجدين ، فيحرمون من له حق أولي في تلك الأموال من الفقراء والمساكين الذين يترفعون عن مسألة الناس ، والقرآن الكريم يقول :

﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربًا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف • تعرفهم بسيماهم • لا يسألون الناس إلحافًا ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٧٢] .

وهكذا فقد حرمت الأمة الإسلامية المصالح الفردية والجماعية المتوخاة من وراء الزكاة .

واستطرد فضيلة الشيخ قائلاً : إن الافلاس في هذا الجانب إنما هو من أجل أن المسلمين يفقدون في هذه الأيام قيادة رشيدة تزرع في قلوبهم معاني التكاتف والتعاضد ، وتجعلهم كالجسد الواحد ، وهناك حقيقة أخرى لم تزل خافية عن أعين الناس وهي أن إقامة النظام الجماعي في توزيع أموال الزكاة إنما هو خطوة أولية إلى تحشيد المسلمين على رصيف واحد ، والتأليف بين قلوبهم ، وهذا المعنى مستفاد من الترتيب القرآني في ذكر الصلاة والزكاة مضمونة بعضها إلى بعض ، فكما أن الإسلام يشدد على إقامة الصلاة بالجماعة - وإن كانت تجوز أيضًا لمن قام بها منفردًا وحده - فكذلك الزكاة ، وإن كانت ساقطة عمن وضعها في مواضعها من عند نفسه دون دفعها إلى بيت المال ، ولكن الأحسن أن يخرج الإنسان زكاة أمواله من حيث تخدم تلك الأموال المصالح الجماعية للأمة الإسلامية ، ولن يكون ذلك إلا إذا كان هناك جماعة من المشفقين على الأمة الإسلامية تتولى استقبال أموال الزكاة وصرفها في تحسين الظروف في المجتمعات الإسلامية ، إضافة إلى أن هذه الجماعة تقوم بالبحث والتفتيش عمن تدفع إليه من أموال الزكاة المجتمعة لديها ، حتى لا يستغل تلك الأموال أولئك المتكففون الذين يطوفون على الناس ، على حساب المستحقين المتعففين .

وتقدم الشيخ قائلاً : إن الفقراء من أولى المصارف التي ذكرها القرآن الكريم ، وهو أعم من أن يكون عالما أو غير عالم ، بل إن الفقير العالم أحق للزكاة من الفقير الجاهل ، ومصرف آخر في سبيل الله وهو يشمل الجهاد على أخص التقدير وعلى قول أكثر العلماء ، والحقيقة أن الجهاد

العسكري قد فقد أهميته في هذه الأيام وأصبح الجهاد العلمي من أكبر الجهاد . لأن الأمة الإسلامية تواجه الغزو الثقافي والحضاري والفكري أكثر من الغزو البلادي ، ونظرًا إلى هذا الجانب يتحتم علينا أن نخصص جزءًا محترما من أموال الزكاة ، ونستعمله في إجراء المنح الدراسية للطلاب النابهين والعلماء النابغين الذين يقفون في سبيل التحديات المعاصرة ، ويذبون عن شرف الإسلام وكرامته بالبحوث العلمية والتأليفات الإسلامية .

وقد حضر هذا المؤتمر نخبة من العلماء الإسلاميين والخبراء الاقتصاديين ، حيث رحب الجميع بالخطوة التي أقدمت عليها دار الشريعة ، وبإقامة هذا المؤتمر الذي هو الأول من نوعه في البلاد الهندية ، كما أنهم باركوا أعمال الشيخ شهاب الدين الندوي في انهاض المسلمين من انحطاطاتهم في المجالات المختلفة الرئيسية ، وصادقوا على الأهداف التي توختها دار الشريعة من إقامة هذا المؤتمر والسعي إلى إقامة النظام الاجتماعي للزكاة ، وعززوا موقف المؤتمر بالأدلة العلمية المتينة وفي ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ودعوا للشيخ الندوي بالخير والفلاح والسعادة والنجاح ، وقد صادف هذا المؤتمر الذي استغرق يومين إقبالاً عظيمًا من أهالي البلدة ، حيث كانوا متابعين في الاستماع إلى الكلمات التي ألقاها العلماء ، والآراء التي قدمها الخبراء الاقتصاديون ، لقد ترك المؤتمر أطيب الأثر على النفوس ، وأبدى جميع من حضروا فيه من أطراف الهند تقديرهم البالغ له ، وعدوه مبادرة طيبة في موضوع الزكاة ، واتفق العلماء والخبراء المشاركون في المؤتمر على وجود ضرورة ملحة على إقامة النظام الجماعي للزكاة ، ثم تفرقوا عن عزائم صميمة على السعي إلى إنجاز الأهداف التي دعا إليها المؤتمر .

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ اشتياق أحمد في ذمة الله

التحرير

فوجئنا بنبأ وفاة الرجل الصالح الورع الشيخ اشتياق أحمد بن فضيلة العارف بالله العالم الرباني الشيخ محمد أحمد الفولفوري - رحمه الله تعالى - وذلك في غرة صفر ١٤١٦هـ المصادفة ٣٠/من شهر يونيو ١٩٩٥م فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم الشيخ إشتياق أحمد قد أصيب بمرض اليرقان منذ مدة قصيرة وكان يعالجه أحد الأطباء البارعين في مدينة لكناؤ حيث يقيم شقيقه الشيخ المقرئ مشتاق أحمد ، ويدير المدرسة العالية العرفانية التي أسسها بتوجيه من والده الجليل - رحمه الله - لتعليم العلوم الدينية وتحفيظ القرآن الكريم .

وفقه الله تعالى بعد وفاة والده الجليل إلى أن يسد فراغ التربية الدينية وينوب عنه في التوجيه الديني وخاصة في أوساط تلاميذه وأتباعه ممن كانوا قد تربوا على يده ودخلوا في طاعة الله ورسوله -ﷺ- ، واصطبغوا بصبغة الشريعة والدين .

لقد كانت الفرصة التي أتيحت له في هذا المجال قصيرة جدًا ، ولو أنه عاش حياة أطول مما قُدر له ، لتوسع نطاق عمله التربوي ، واستفاد منه الناس في الدين والخلق .

لذلك فإن وفاته تعتبر خسارة كبيرة في أوساط الدين والتربية الإسلامية ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يسددها ويعوض عن الفقيد المرحوم من يتولى شأن المسلمين ويقيم أمرهم في الدين والدنيا ، فإنه على كل شئ قدير .

نتقدم بالتعزية الخالصة إلى أشقائه وأقاربه وذويه ، وندعو الله تعالى أن يلهمهم الصبر ، ويسكن الفقيد الكريم جنات النعيم ، وقد عقدت

حفلة تعزية في مسجد دار العلوم ، ودعا له الحاضرون بالمغفرة والرحمة من الله تعالى .

فضيلة الشيخ محمد الله السهارنفوري في ذمة الله

في ٢٠/من شهر مايو توفي فضيلة الشيخ محمد الله مدير جامعة مظاهر العلوم بمدينة سهارنفور ، وهي تعتبر صنو جامعة ديوبند ، أسسها العلماء الغيارى منذ نحو قرن وثلث لنشر العلوم الإسلامية والعقيدة الدينية الخالصة ، وقد أنجبت علماء كبارًا ومحدثين وفقهاء ممن حملوا راية العلم والدين والعقيدة السليمة ، وكان من بينهم فضيلة الشيخ محمد أسعد الله الذي قام بمنصب مدير هذه الجامعة إلى مدة طويلة ، وقد آل هذا المنصب بعد وفاته إلى نجله الكريم فضيلة الفقيد الشيخ محمّد الله - رحمه الله تعالى - ، فقام بواجبه خير قيام .

كان رحمه الله على جانب كبير من العلم والورع وحسن الأخلاق ، شرّف لكناؤ قبل مدة وزار دار العلوم لندوة العلماء ، حيث أقام وقتًا لا بأس به ، واستفاد الناس من صحبته ، رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

حرم الأستاذ المرحوم محمد سميع في ذمة الله

في ٢/يوليو استأثرت رحمة الله تعالى بحرم الأستاذ الكبير المرحوم محمد سميع الصديقي الذي قام بخدمة تدريس العلوم العصرية واللغة الإنجليزية في دار العلوم لندوة العلماء إلى مدة طويلة ، وكان محببًا لدى الجميع ، وقد أدركته الوفاة قبل مدة ، فكانت حرمه الفقيدة تعيش مع أنجالها في بيتها المجاور لدار العلوم ، وقد كان نجلها الأكبر البروفيسور وصي أحمد الصديقي حاضرًا في خدمة أمه إلى آخر لحظات حياتها ، أما الأنجال الآخرون الذين كانوا خارج البلاد أداءً لأعمال مهمة ، فلم يتمكنوا من الحضور لدى الحادث ، وقد كانت أمًا سعيدة ، بأولادها وأقاربها ، أكرمها الله تعالى بحياة طيبة عاشتها في هناء وسرور ، رحمها الله رحمة واسعة ، وأفاض عليها من الرحمة والمغفرة ما هي بحاجة إليه ، وجعل آخرتها خيرًا من الأولى .

فعارنا الوحيد
الى الإسلام من جديد

حضرة الأخ القارىء الكريم ، حفظه الله تعالى للاسلام :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

و بعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا فى خير و عافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة « البعث الاسلامى » و هى مجلتكم و مجلة كل محب للصحافة الاسلامية الهادفة .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر فى ظروف قاسية جداً ، و هى بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، و ذلك بتقديم دعم وجيه منكم و توسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم و أصدقائكم .

أرجو التكرم بارسال قيمة الاشتراكات السابقة و الجديدة بواسطة الشيك الصادر من أحد البنوك باسم (ALBAAS - EL - ISLAMI) .

بالعنوان التالى :

مكتب البعث الاسلامى
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص . ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمى الندوى

رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامى »

ص . ب ٩٣ (مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWAT-UL-ULAMA,
P. O. Box: No. 93,
Lucknow. (India)